الدكتور عزت السيد أحمد

الثورة السورية وأزمة القيادة

THE SYRIAN REVOLUTION
AND THE CRISIS
OF LEADERSHIP
Political Study
By Prof. Dr.
Ezzat Assayed Ahmad

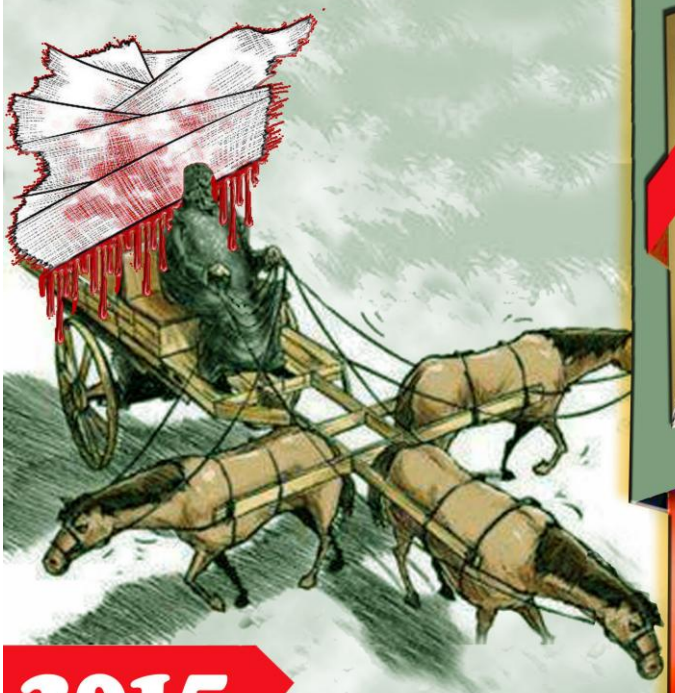

دراسات سياسية

2015

العالم العربي
The Arab World
for Publishing

الدكتور عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

الثورة السورية وأزمة القيادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

الثورة السورية وأزمة القيادة

العالم العربي
The Arab World
for Publishing

☆ الكتاب : **الثورة السورية وأزمة القيادة**
قراءة تاريخية وسياسية.
☆ الموضوع: **دراسات سياسية.**
☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد.**
☆ عدد الصفحات: ١١٤ صفحة.
☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.
☆ النَّاشر: **العالم العربي للنشر.**
☆ **عمان.**
☆ الطبعة الأولى: **٢٠١٥م.**
☆ **تاريخ: ٢٠١٥/٩/١ م.**
☆ تصميم الغلاف بريشة بيلسان.
☆ **الحقوق جميعها محفوظة.**
تمنع طباعة هٰذا الكتاب أو نشره، أو فصل منه، من دون موافقة خطيَّة من النَّاشر أو المؤلف. ويجب مراعاة أصول الاقتباس والتوثيق لدى اقتباس أي نصوص أو شواهد من الكتاب.
☆ بريد إلكتروني : **sameah3@gmail.com**

الإهداء

إلى الثورة السورية

التي عمّرت الجميع تماماً

مُقدِّمة الكتاب

أبدأ مقدِّمة هٰذا الكتاب بآخر مقالٍ أو تعليقٍ كتبته أواخر العام الماضي عام ٢٠١٤م تحت عنوان «خلص الكلام»، وأعدتُ نشره وتوضيحه في الخامس من الشَّهر الأوَّل من هٰذا العام، كتبت:

عندما كتبت: خلص الكلام

عنيت أنَّ كلَّ ما يجب أن يقال قد قيل.

وكرَّرته الأقلَّ أهميَّة مرَّاتٍ عدَّة، والمهمُّ منه كرَّرته بأكثر من أسلوبٍ كثيراً من المرَّات...

وما تبقَّىٰ ليس إلا تنويعات علىٰ ما قد سبق...

وظلَّ النِّظام وورثة الثَّورة ماضون في القتل والتَّدمير والتَّشريد...

قاتلهم الله جميعاً وخلصنا منهم جميعاً.

وحَتَّىٰ هٰذا الكلام قلته منذ نحو عامين مرَّاتٍ عدَّة.

والحقيقة الأكيدة هي أنَّ كلَّ ما يتعلَّق بالثَّورة من مختلف الجوانب والعلاقات والتَّفاصيل والآفاق قد قلته في السَّنة الأولىٰ من الثَّورة وقد

نشرته في سلسلة كتب في العام الماضي تحت عناوينَ مختلفةٍ تبعاً للموضوع، وكل ما كان بعد ذَلكَ هو إعادة تذكيرٍ وتكرارٌ بأساليب أُخْرَىٰ وتحققات للتوقعات.

ووصلنا إلىٰ ما حذَّرت منه مراراً وتكراراً وهو الفوضى وفقدان السَّيطرة. نحن الآن في مرحلة فقدان السَّيطرة علىٰ أيِّ شيء ...لا أحد يسيطر علىٰ شيء في سوريا... ومصائب أُخْرَىٰ قادمة ستزيد الأمر تعقيداً من جهة وستفجر الوضع أكثر، إذا تدارك العابثون الأمر سيولد أفق الحل أولاً ثم ربما الحل... وإلا ستولد مأساةٌ أكبر وأشدُّ وأوسع مدًىٰ بكثيرٍ مما هي عليه بل ومما يتوقعه الأكثر تشاؤماً.

في هٰذا الإطار يأتي هٰذا الكتاب بمنزلة جزءٍ ثانٍ للكتاب الذي صدر العام الماضي تحت عنوان الثوار والمعارضة والثَّورة السُّوريَّة. ففي ذاك الكتاب مشاهد وتعليقات ومقالات لمشكلات الثُّوار وقيادات الثَّورة السياسيَّة والعسكريَّة وفي مختلف المجالات الأُخْرَىٰ هٰذه المشكلات التي تمثلت في سوء التَّدبير وسوء القيادة وسوء التَّخطيط وسوء الإدارة وعدم وجود قيادة للثورة ولا مرجعيَّة ومن المسؤول عن ذَلكَ وكيف ولماذا...؟! من دون إغفال تناول مثل ذَلكَ من زوايا أُخْرَىٰ وجدت مكانها في كتبي الأُخْرَىٰ عن الثَّورة مثل الثَّورة السُّوريَّة والمؤامرة الكونيَّة، والثَّورة السُّوريَّة والنِّظام السُّوري، ولوحات من ألم الثَّورة.

مثلما أشرت قد لا يكون من جديد في هٰذا الكتاب من جهة الفكرة والمبدأ عما استبقت فيه ذَلكَ في الكتاب الصَّادر العام الماضي، وإنما فيه تتبع في وقفات أوسع تقريباً لمستجدات موضوع أزمة القيادة في الثَّورة السُّوريَّة، وهي ظاهرة قلَّ وندر مثيلها في تاريخ الثَّورات.

مقالات هٰذا الكتاب كلها كتبت ونشرت في تواريخها المرقومة أدناها، وكان من الضروري إثبات التواريخ لتوثيق زمن قراءة الحدث والكتابة عنها، مثلما فعلت في الكتب السابقة عن الثَّورة، حَتَّىٰ ترتيب مكانها في هٰذا الكتاب كان بترتيب أزمان كتابتها ونشرها وكلها كتبت ونشرت ما بَيْنَ أول هٰذا العام ٢٠١٥م ونحو منتصف الشهر الثامن من العام نفسه زمن إعداد الكتاب للنشر.

دفع الكتاب للنشر قبل انتهاء العام لأنَّ جديداً لن يكون في الموضوع يستحق أن ننتظره لتضمينه في الكتاب علىٰ أنَّهُ حصيلة عام ٢٠١٥م في هٰذا الموضوع. أقول لن يكون وأنا علىٰ يقين أنَّهُ يكون أيُّ شيءٍ جديدٍ في الموضوع يستحقُّ الانتظار إلا المعجزة الإلهيَّة فهي فوق أيِّ تصوُّر أو تخيُّلٍ... هي فوق العلم وفوق العقل. حَتَّىٰ المؤتمر الذي تخطِّط السعوديَّة لعقدة لتشكيل قيادة موحدة (للمعارضة) لا للثَّورة ولا أعرف متىٰ سيعقد فإنَّهُ لن يكون إلا حلقة جديدة في العبثيَّة.

لن يكون إلا استمرار العبث واستمرار هدر الدِّماء من دون ثمن. واستمرار النزيف السُّوري البشري والمادي والمعنوي؛ قتل وتشريد وتدمير... والخاسر الوحيد هو سوريا وسوريا فقط.

أكرر هنا ما كررته مراراً منذ سنوات وإلىٰ الآن: الثَّورة حق، الثَّورة صادقة، الثَّورة شريفة طاهرة... وليس ذنبها ولا ذنب الشعب أنَّهُ ركبها ثلة من اللصوص والمرتزقة والأفاقين والخونة والعملاء.

بداهة أو بداهتان تحكمان الموقف:

الثَّورة من دون قيادة فوضىٰ وعبث.

والثَّورة بأكثر من قيادة هي صراع مكاسب.

وفي الحالين كليهما فإنَّ الأمور سائرة إلىٰ الهاوية.

لا يمكن لمركب لا قائد لها أن تسير سيراً سليماً. وفي الوقت ذاتها لا يمكن لمركب لها أكثر من قائد أن تسير سيراً سليماً.

عواملٌ كثيرةٌ أدَّت بالثَّورة إلىٰ هٰذا الموقع الخطير. ولٰكن مهما كانت العوامل الخارجيَّة فإنَّ العامل الدَّاخلي؛ أبناء سوريا، أبناء الثَّورة، هم المسؤولون فقط. لا يمكن لأيِّ قوَّةٍ خارجيَّة أن تفعل ما تريد ما لم توجد الأرضيَّة المناسبة القابلة للاختراق.

الفصل الأول

مصائب الثورة السورية الخمس

مع دخول الثَّوْرَة السُّوريَّة عامها الخامس[1] في ظاهرةٍ تاريخيَّةٍ شبه غير مسبوقةٍ في تاريخ الثَّورات في العالم المعاصر والوسيط والقديم من يوم آدم إلىٰ يومنا هٰذا. مع هٰذا المعطىٰ التَّاريخي نلقي ضوءاً علىٰ مصائب الثَّوْرَة السُّوريَّة منذ انطلاقتها إلىٰ دخولها عامها الخامس.

من باب سهولة الأمر بعد إدراكه سيقول الكثيرون نعرف هٰذه المصائب، وبعضهم سيقول نعرفها منذ زمنٍ بعيدٍ. ومحض مثل هٰذا

(١) .كتب هٰذا المقال في ٣/١٧/ ٢٠١٥م، ونشر في الفترة ذاتها، ونظراً لدخول مادة هٰذا الفصل/ المقال في أكثر من كتب من سلسلة كتب تتبع الثورة في مختلف أبعادها فقد تم إدراجه فصلاً أولاً في هٰذه الكتب وهي: الثورة السورية والحلول التهريجية، الثورة السورية وأزمة القيادة، الكل يطلق النار علىٰ السوريين وثورتهم.

التَّعليق يدلُّ علىٰ سوء تقدير استمراراً لسابق سوء الفهم والتَّقدير، وخاصَّة إذا صَدَرَ عن قيادات ثوريَّة من أيِّ نوعٍ أو مستوى، وخاصَّة أيضاً إذا صدر عن الذين رافقوا الثَّوْرَة علىٰ الفضائيَّات تحليلاً وتنظيرا علىٰ مدار السَّنوات الأربع المنصرمة. لأنَّ السُّؤال الذي سَيَسْفَعُ تعليقهم علىٰ الفور هو:

. إذن لماذا طوال السَّنوات الأربع المنصرمة كنتم تقولون وتخطِّطون وتفعلون وتمارسون كلَّ ما هو عكس هٰذه الحقيقة؟

للضَّرورة أتحدَّى من يدَّعي أنَّهُ كان يدرك أو يفهم هٰذا الحقائق أن يبرهن ذٰلكَ بسلوكٍ سابقٍ أو تعليقٍ أو تحليلٍ علىٰ مستوىٰ منذ بدء الثَّوْرَة إلىٰ ما قبل أشهرٍ قليلةٍ. راجعوا من فضلكم اللقاءات التِّلفزيونيَّة والتَّنظيرات فكلُّ شيء مسجَّلٌ للجميع علىٰ مدار ما سبق من عمر الثَّوْرَة... الجميع أعني المحللون والمنظِّرون والمتفلسفون والقيادات من مختلف المستويات. وإذا كان ربُّ البيت ضارباً بالطَّبل فشيمة أهل البيت كلِّهم الرَّقص.

ومع ذٰلكَ، ومع انكشاف كلِّ الحقائق بطريقةٍ مفجعةٍ وكارثيَّةٍ ستجد هٰؤلاء أنفسهم مصرين علىٰ السَّير علىٰ عكس ما انكشف من الحقائق انكشافاً لا يقبل الشَّك... وهٰذا السَّير بالمقلوب أمرٌ واقعٌ الآن بكلِّ فجاجةٍ وغلاظة. يعني ليست المسألة مسألة توقعات أو تنبؤات أو تشاؤم. وهٰذا وحده أمرٌ مثيرٌ للريبة نظريًّا.

لم يكن من بُدٍّ من هٰذه المقدمة لأنَّ التقريع علىٰ هٰذه الحقائق، علىٰ هٰذه المصائب قائمٌ علىٰ قَدَمٍ وساقٍ من دون أن يقبل أحدٌ الالتفات إليها أو الاقتناع بها. هٰذا ليس تناقضاً مع ما سبق.

حسناً، ما المصائب الخمس هٰذه؟

تنقسم المصائب إلىٰ قمسين ثلاثة واثنين. الثَّلاثة هي القسم الدَّاخلي وهي العامل الحاسم والأساسيُّ مهما بلغت فاعلية الطرف الخارجي، والقسم الثاني هو القسم الخارجي. وهٰذه المصائب هي التالية علىٰ ترتيب الأهميَّة:

أولاً: النِّظام

مهما كانت الوعود والإغراءات من أيِّ طَرَفٍ داخليٍّ أو خارجيٍّ النِّظام هو المسؤول الأوَّل والأخير عن مأساة سوريا أرضاً وتاريخاً وشعباً.

يجب أن يدرك الجميع أنَّ النِّظام لم يفعل غير ما قد يفعله أيُّ نظامٍ يثور عليه شعبه. هٰذا ليس دفاعاً عن النِّظام ولا تسويغاً لما فعل. لأنَّ المشكلة الأساسيَّة والجوهريَّة ليست هنا تحديداً. المشكلة في حقيقة الأمر هي في أنَّ النِّظام كان عاجزاً في كلِّ مراحل الثَّوْرَة عن استيعاب التَّطوُّر التَّاريخي وفهم الحدث والعجز من ثمَّ عن اتخاذ الإجراء اللازم المناسب. في كلِّ مراحل الثَّوْرَة كان يمكن للنِّظام أن يضع حدًّا لشلال الدم والدمار والخراب والتشريد وإعادة القطار إلىٰ السكة. ولٰكنَّهُ في كلِّ المراحل كان يختار الخيارات الخطأ ويدافع عن الخطأ بخطأ فيولد خطأ جديداً ومصيبة جديدة، وهٰكذا.

النِّظام لم يقبل النَّصيحة ولم يعمد إلىٰ المشورة وكان لا يستشير ولا يفوض أمر التَّدبير إلا إلىٰ الأشخاص الخطأ في الوقت الخطأ والمكان الخطأ. ولذٰلك وصلت الأمور إلىٰ ما وصلت إليه. ومن ثَمَّ فإنَّ كلَّ سلوكات النِّظام من أدناها

إلىٰ أعلاها تُفهم من خلال هٰذه البنية، ومنها أنَّهُ لم يفتح أيَّ باب للحوار الجديِّ مع زعمه القيام بذٰلكَ، بل مع قيامه بتمثيليات حواريَّة زعم أنَّها الحوار. ولا أطيل في ذٰلكَ فقد كتبت فيه الكثير الكثير منذ أول الثَّوْرَة إلىٰ يومنا مما كان مادة كتابٍ كاملٍ.

علىٰ أيِّ حال، في ظلِّ المعطيات الراهنة يمكنني القول النِّظام وحده يملك الحل؛ إمَّا أن تستمرَّ المأساة عشرات السِّنين أو أن ينهيها. ولٰكن بكلِّ تأكيدٍ ليس بطريقة تفكيره وإدارته السَّابقة لأنَّهَا هي التي ستجعل المأساة مستمرة.

ثانياً: قيادات الثَّوْرَة

لا يوجد قيادة للثَّورة، توجد قيادات. وهٰذا وحده أكبر مأساة. ومع ذٰلكَ ذٰلكَ، وكما يقول المثل العاميُّ: «رضينا بالبين والبين ما رضي فينا»، فإنَّ هٰذه القيادات الثَّوْرَية السِّلميَّة والسِّياسيَّة والعسكريَّة والسَّنكريَّة كلها، كلها وأكاد أقول من دون استثناء، ليست أهلا للقيادة وتصرُّ علىٰ أن تكون هي القيادة...

اتَّسمت قيادات الثَّوْرَة السلميَّة في البدايات فقط بالحماس والاندفاع والإخلاص والصِّدق والنَّوايا الشَّريفة النَّظيفة، ولٰكن في الوقت ذاته افتقرت هٰذه القيادات منذ بداية الثَّوْرَة إلىٰ الوعي السِّياسي والتَّقدير الصَّحيح لمجريات الأمور والتَّخطيط والتَّدبير والتَّفكير... وبعد سنةٍ ونصف أو أو أكثر قليلاً تعمقت معضلة هٰذه القيادات أكثر فالقيادات الأولىٰ الصَّادقة الشَّريفة النَّظيفة ماتت أو اعتقلت أو تشرَّدت واستلم

عنها من اتَّسم بالمساوئ السَّابقة وأضاف إليها مساوئ جديدة من الوصوليَّة واللصوصيَّة والتَّسلُّق... وسينجم عن هٰذه التركيبة الجديدة الممارسة الإقصائيَّة لكلِّ الكفاءات والمهارات ولكلِّ من يريد أن يعمل بصدقٍ وإخلاصٍ لأنَّ وجود هؤلاء يفضح سطحيتهم وسائر معايبهم الأُخْرىٰ.

هٰذا الحكم عامٌّ غير مطلق. عامٌّ أي إنَّ أكثريَّة القيادات من هٰذا القبيل... أي إنَّ الأمر لا يخلو... أقول لا يخلو من وجود بعض القيادات الشَّريفة والمختصَّة والكفوءة في أيِّ مجالٍ من المجالات: الثَّوْرَية والسياسيَّة والعسكريَّة والحقوقيَّة والطِّبيَّة والإغاثيَّة... إلىٰ آخر ما هنالك. ولٰكن أذكر من جديدٍ هم القلة القليلة بَيْنَ تراكم أصحاب عقد النقص والاستعراض والزعامة والفخامة... ولذٰلك لن يكون لهم أيُّ تأثير.

حسناً، هنا المشكلة التي يجب تسليط الضَّوء عليها. إنَّ أشخاصاً بهٰذه المواصفات لا يمكن أن ينتجوا نتائج صحيحة علىٰ الإطلاق، بل إنَّ بعضاً غير قليل منهم صار من مخطَّطاته أن تدوم الثَّوْرَة، أن تطول المأساة، أن تتفاقم المعاناة، لأن منفعتهم ومصالحهم تتحقَّق بهٰذه الدَّيمومة، وإنَّ توقف الثَّوْرَة بأيِّ حالٍ هو قطع شريان الفساد الذين يعتاشون عليه.

هٰذا لا يعني أن الثَّوْرَة علىٰ خطأ. ولا أنَّ الشَّعْب السُّوري سيءٌ. أبداً. ثَمَّة تقاطعات كثيرة أدَّت إلىٰ ذٰلكَ، من طرف النِّظام من طرف الآخرين... وكانت النُّفوس المريضة والضَّعيفة والفصاميَّة كلها جاهزة لتلقف هٰذه الفرصة أو الانجراف

في التيار الذي سيقوا إليه، وبعضهم لم يكن بحاجة لمن يقوده إلىٰ هٰذا المسار لأنَّهُ كان يصنعه بنفسه.

ثالثاً: أدعياء المعارضة

لا أريد الحديث في المعارضة العربيَّة وطبيعتها وكفاءاتها وفلسفاتها ووقفتها الشولاء ضدَّ الثَّوارات العربيَّة!!!... فهٰذا موضوعٌ طويلٌ أفردتُ له كتاباً كاملاً. ولذلك قلت: أدعياء المعارضة ولم أقل المعارضة. ثَمَّة فرقٌ بَيْنَ الفنائين.

مما أوضحته غير مرَّةٍ منذ عام ٢٠١٢م أنَّ الظُّروف القاهرة للشَّعب السُّوري اقتضت منه تفويض من يمثله في الخارج من الخارج لمخاطبة الخارج... وإذ بهم جميعاً من الخارج إلىٰ الخارج، كانوا في خارج ودخلوا إلىٰ خارج وضيعوا كل المخارج... مع استثناءات قليلةٍ بل نادرةٍ ندرة اجتماع المال والعقل والجمال في امرأة معاً.

منذ بدء تشكيل المجلس الوطني تبين بوضوح أنَّ بنية التَّركيب خاطئة، فلسفة المجلس خاطئة، الأشخاص الذين تَمَّت لملمتهم من شوارع أوروبا هم الأشخاص الخطأ... منهم من غادر سوريا وعمره عشر سنوات ومع ذٰلكَ راح يبيض علينا بطولات ثوريَّة واعتقالاتٍ وملاحقاتٍ كان يتعرَّض لها... وكلُّها كذب، هشت بهشت، لا أساس لها من الصِّحة... ولٰكنَّهَا (بريستيج) لا بُدَّ منه للظهور في برواز المعارضة.

تَمَّ نسف المجلس الوطني من أجل إنشاء الإئتلاف الذي كان نسخة من المجلس الوطني في الأوصاف السَّابقة وربَّما زاد الطين بلة بأخطاء مصائبيَّة كارثيَّة في حقِّ الثَّوْرَة وسوريا شعباً وأرضاً وتاريخاً.

لا أريد الدُّخول في تفاصيل مؤلمةٍ وهي كثيرةٌ جدُّ كثيرةٍ. أختم فقط باعترافاهم في الأيَّام الأخيرة، من أجل تفسير عدم فاعليتهم وإخفاقهم علىٰ مدار السَّنوات الثلاث السَّابقة، بأنَّهُم ليس فيهم خبراء تخطيط ولا تنظيم ولا حَتَّىٰ فهم، ولهٰذا عادي لأنَّهُم، مع تحفظ علىٰ نحو اثنين بالمئة، نكرات لا تاريخ لهم. حاولوا تعلم الفهم والمعارضة بدماء السُّوريين وعذاباتهم، ويا ليتهم تعلَّموا شيئاً. ومع اعترافهم بعدم الفهم والافتقار إلىٰ الخبرة فإنَّهُم مصرُّون علىٰ المضي في ادعاء قيادة الثَّوْرَة!!!

مضطرٌّ لتمديد الخاتمة بذريعتهم السَّخيفة بأنَّ نظام البعث جرَّف الحياة السِّياسيَّة والوعي السِّياسي علىٰ مدار خمسين سنة، من أجل تسويغ الغباء والأخطاء، ولهٰذا وهمٌ. الكفاءات أكثر من كثيرة ولٰكنَّهُم أنانيون لم يمانعوا من تدمير سوريا وقتل شعبها من أجل تفريغ عقد النَّقص واللصوصيَّة.

رابعاً: المجتمع الدولي

المجتمع الدولي تسمية مضللة في حقيقة الأمر. مفهوم عام غير قابل للتعميم، لأنَّهُ لا يوجد مجتمعٌ دوليٌّ. يوجد أمريكا التي تفرض إرادتها علىٰ الجميع بطريقة أو بأُخْرَىٰ. وفي إطار الأزمة السُّوريَّة وجدت روسيا والصين سلماً بالعرض كما يتوهَّم الكثيرون، في حين أنَّهُما تفعلان ما يسر أمريكا ويرضيها. تفاصيل ذٰلكَ كثيرةٌ في حقيقة الأمر وكان لي فيها كتاب كامل هو الثَّوْرَة السُّوريَّة والمؤامرة الكونية.

من فكرة المؤامرة أنفذ إلىٰ المشكلة هنا. لقد خلط النِّظام أساساً بَيْنَ المؤامرة التَّلقائيَّة والتَّاريخية علىٰ سوريا والعالم العربي والإسلامي، وبَيْنَ الثَّوْرَة

السُّوريَّة. لم يكن موفقاً في الخلط لأنَّهُ زاد في تفاقم الأمور واستفزاز الشَّعْب السُّوري.

علىٰ أي حالٍ ليست المشكلة هنا، المشكلة هي أنَّ النِّظام فتح الباب علىٰ مصراعية لتنفيذ رغبات المتآمرين علىٰ سوريا سواء بيده المباشرة أو بإيصال الأمور إلىٰ ما وصلت إليه. ولم يتوقَّف الأمر هنا بل وُجِدَ من النُّفوس المريضة والضَّعيفة والعفنة في قيادات الثَّوْرَة ما أدَّى إلىٰ وضع المتآمرين يدهم علىٰ الطَّرف الثَّاني فصارت سوريا من بابيها مفتوحةً علىٰ مصراعيها لتنفيس عقد المتآمرين في تدمير سوريا والسير بها خطوة خطوة إلىٰ تحقيق المشروع الذي ترغب فيه وتتمناه... علىٰ الأقل هَكذا يتصورون حَتَّىٰ الآن، ويعملون علىٰ هٰذا الأساس حَتَّىٰ الآن.

المؤامرة دخلت بعد أن فتح السُّوريون لها الباب، وعلىٰ رأسهم النِّظام. والمجتمع الدولي، بالمعنىٰ الذي صار واضحاً، له غاية واحدة وهي استفزاز وإغراء الطَّرفين من أجل استمرار الصِّراع إلىٰ أقصى مدىٰ زمنيٍّ ممكنٍ. أي لا يريدون للثَّورة أن تنتصر، ولن يسمحوا ما استطاعوا إلىٰ ذَلكَ سبيلاً أن تنتقل السُّلطة من النِّظام إلىٰ طرف جديدٍ لا يحقِّق لهم مصالحهم مثل النِّظام في الحدِّ الأدنىٰ. لأنَّهُ أمام فرصة تاريخيَّة لن تتكرَّر.

الثَّـوْرَة وقادتهـا بالمجمـل لم يـدركوا هٰـذه الحقيقـة ولـذَلك ظلَّـوا حَـتَّىٰ اليـوم متعلقـين بـذيل المجتمـع الـدولي نـاطرين الـدَّعم والمسـاعدة والتَّـدخل. وهٰـذا محـض غبـاءٍ لأنَّـهُ في أحسـن الأحـول وأحسـن الظُّنـون مـن الغبـاء توقـع أيِّ دعـم أو مسـاعدة مـن أحـد مـن دون ثمـن. مـن الغبـاء توقـع أن يحـل الآخـرون مشـكلاتنا، أو أن يـدافعوا عنَّـا... تمامـاً مثـل القضـيَّة الفلسـطينيَّة

التي ما زال العرب منذ سبعين سنة ينتظرون ويأملون أن تقوم أمريكا بمحاربة إسرائيل وتحرير فلسطين!!!

وفي الوقت ذاته النِّظام وقع في فخ الوعود والإغراءات ومضىٰ في معركته غير تاركٍ وراءه باباً يعود منه. ومع ذَلكَ أتساءل: لو أدرك النِّظام أنَّهُ ماض في هٰذا النَّفق منذ البداية هل كانت لتكون هٰذه خياراته؟ وحده الذي يجيب علىٰ هٰذا السُّؤال.

خامساً: المجتمع العربي

نقصد بالمجتمع العربيِّ الأنظمة العربيَّة بالمطلق. بالمطلق الأنظمة العربيَّة لم تُرِدْ للثَّورة السُّوريَّة أن تنتصر، وبالمطلق أرادت أن تؤدِّب شعوبها وترويضها بالشَّعْب السُّوري... وأن تجعل الثَّوْرَة السُّوريَّة مقبرة الرَّبيع العربي. وأكاد أقطع الشَّك بيقين أنَّها كلَّها تنسِّق مع النِّظام السُّوري علىٰ هٰذا الشَّأن علىٰ الرَّغْمِ من الحملات الإعلاميَّة الشَّنيعة شناعةً غير محدودةٍ بَيْنَ الطرفين؛ الأنظمة العربيَّة والنِّظام السُّوري.

وهنا وَقَعَ النِّظام في الفخِّ، ووقعت الثَّوْرَة بَيْنَ يدي من لا يرحم. حَتَّىٰ الآن ترى الثَّوْرَة بمختلف قياداتها إلىٰ الأنظمة العربية علىٰ أنَّها داعمةٌ للثَّورة في حين أنَّها علىٰ عكس ذَلكَ تماماً. ولذَلك استطاعت هٰذه الدُّول جرَّ الثَّوْرَة إلىٰ سردابها وقيادتها بما ينسجم مع أهدافها وغاياتها، وخضعت الثَّوْرَة لها.

أمَّا النِّظام فمن السَّهل تفهُّم وحَتَّىٰ تقبل تنطعه لمهمة ترويض الشَّعْب العربي بالشَّعْب السُّوري في الأشهر الأولى من الثَّوْرَة. ولٰكن بعد مضي أقلِّ من عامٍ لا يمكن تفهم ولا تقبل قبوله القيام بمهمة التَّرويض هٰذا لأنَّهُ هو من سيدفع الثَّمن، والشَّعْب السُّوري من سيدفع الثَّمن. أي سوريا ستدفع الثَّمن نفسه

مرتين؛ وقد فعلت، من أجل خدمة الأنظمة العربية وراحتها. لأنَّ شقًّا آخر من المشكلة يمكن في أنَّ الأنظمة العربيَّة أرادت أن تشتعل سوريا وتحترق من أجل تبقىٰ هي بعيدة عن النار... وقد فعلت أيضاً. ولٰكن هل ستبقى بعيدةً عن النَّار؟

إذن، في محصلة القول: إذا كان النِّظام مسؤولاً بالدَّرجة الأولى والأخيرة في المرحلة الأولى من عمر الثَّوْرَة عن وصول الأمور إلىٰ ما وصلت إليه، فإنَّ الجميع في المرحلة الثانية وما بعدها مسؤول عن وصول الأمور إلىٰ مرحلة الفوضىٰ والعبثية. واستمرار الطرفين في هٰذا الغباء والوقوع في الأفخاخ يعني بالضَّرورة استمرار المأساة وتصاعد تعقيد الأمور وابتعاد الحل. واحدٌ من الطَّرفين يجب أن يصحو ويعرف كيف يقود الأمور إلىٰ المسار الصَّحيح الذي لن يكون الوصول إليها سهلاً بحالٍ من الأحوال، ولٰكنَّهُ ما لا بُدَّ منه لوضع القطار علىٰ السِّكة.

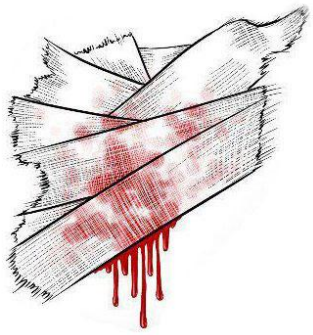

الفصل الثاني

إلى متى ستبقى الطاسة ضائعة؟

عندما حكم القاضي علىٰ المتهم بالإعدام شنقاً حَتَّىٰ الموت، صاح المتهم: الله أكبر، اللهم أجرنا من أعظم[٢].

دُهش القاضي، دُهش المحامون، دُهش الجمهور، دُهش أقرباء الجمهور... ثمَّ في يوم غير بعيد راحت الدَّهشة تتلاشى عندما علم الجميع أنَّ هناك ما هو أعظم فعلاً.

ما هو أعظم هو اللامعقول عندما يصير واقعاً لا مفر أمامك من التعايش معه. ونحن في عصر اللامعقول إلى أقصى درجات اللامعقول. لا نعود إلىٰ الوراء

(٢) .كتب لهذا المقال ونشر في ٢٠١٥/١/٢١م.

كثيراً. ولٰكنَّ حسبنا الإشارة إلىٰ واقعنا العربي قبل أكثر من ربع قرن دخل مرحلة اللامعقول التي صار لامعقول الفلسفة الغربية معقلاً أمامه.

اليوم تجاوزنا لامعقولنا نحن وصار لامعقولنا السَّابق معقولاً أمام المعطيات التي نعيشها. لنستعر المثل الشَّعبي الشَّائع جدًّا: «الطَّاسة ضائعة». والحقيقة أنَّ الطَّاسة ضائعة أكثر مما تتخيلون أيُّها السَّادة.

العالم علىٰ فوهة بركان وليس منطقتنا أو ثورتنا وحدها في هٰذا الحال. يعنينا أكثر ما يعنينا ثورتنا السُّوريَّة التي وصلت إلىٰ مرحلة الفوضى والضَّبابية وانعدام الآفاق... إلىٰ ضيعان الطاسة. لدينا في هٰذا السياق مصيبتان شنيعتان:

الأولى: كثيرون بيدهم الطَّاسة ويبحثون عنها لأنَّهم سمعوا أن الطَّاسة ضائعة.

الثانية: كثيرون طاستهم ضائعة ويتوهَّمون أنَّهم يمسكون الطَّاسة بيدهم.

ولا شك في أنَّ هناك كثيرين أيضاً يعرفون أين الطاسة متفاوتين ما بَيْنَ العجز عنم الوصول إليها أو العجز عن إيصالها إلىٰ من يبحث عنها أو غير ذٰلكَ من مستويات.

ولذٰلك طفت علىٰ السطح عينات من قيادات الثَّورة علىٰ مختلف المستويات والأصعدة، وعينات من المحليين السِّياسيين بحكم حاجة الفضائيات ووسائل الإعلام، بحكم غير ذٰلكَ من الأحكام. أغلبلهم مفتقرين إلىٰ القدرة التَّحليلية، إلىٰ الكفاءة العلمية والمنهجية والرؤيوية، ولذٰلك لن تكون النتيجة منطقيَّة ولا واقعيَّة ولا تؤدِّي إلىٰ حلول مجدية لأنها أصلاً قائمة علىٰ تحليلات غير سليمة. كيف يمكن أن أثق في محلل سياسي هو نفسه ورُبَّما في اليوم نفسه

يقول: داعش عميلة إيران، وفي تحليل آخر يقول: إيران تتخوف من وصول داعش إلىٰ حدودها؟ كيف يمكن أبنى علىٰ رأي مثل هٰذا المحلل؟

معظم المحللين السِّياسيين، وقيادات الثَّورة نسخة منهم، اليوم يذكرونني بذٰلكَ السكرتير المصرصع الاستعراضي المتفهمن الذي كان يطبع لمديره نسختين من أيِّ قرارٍ؛ نسخة بالموافقة ونسخه بالرفض. ويعطيه أوَّلاً القرار الذي يتوقَّع أنَّهُ الصَّحيح، فإذا أعجب المدير باض عليه فهمة، وباض على زملائه بالسكريتارية استعراضاً. وإذا لم يعجبه القرار استل القرار الثَّاني وناوله إياه وقال له:

. بالخطأ، بالخطأ، هٰذا هو القرار...

فيوقعه المدير. ويبيض السكرتير أيضاً عليه وعلىٰ زملائه فهمنةً واستعراضاً.

يعني بيَّاض بيَّاض، علىٰ أيِّ حالٍ سيبيض فهمنةً واستعراضاً. وقيادات الثَّورة والمحللون السِّياسيون اليوم أكثرهم من هٰذا النَّوع البيَّاض. تجدهم في اللقاء نفسه أو الحديث نفسه أي في الجلسة ذاتها يقول: داعش عميلة النِّظام وعميلة إيران وعميلة أمريكا وعميلة إسرائيل وداعش تشكل تهديداً للنِّظام وتهديداً لأمريكا وتهديداً لإسرائيل... وفي اللقاء نفسه هو مع أمريكا وضدَّ أمريكا، ومع التَّدخُّل وضدَّ التَّدخل، وأمريكا دعمتنا، وأمريكا لم تدعمنا، والدُّول العربيَّة الشَّقيقة ساندتنا وساعدتنا، والدول العربية خذلتنا وضيعتنا، وأنا مع الحوار وأنا ضدَّ الحوار...

وهٰكذا أيها السَّادة، يبدوا هٰذا الفهلوي فهلويًّا في كلِّ شيءٍ، فمهما ما كانت الحقيقة سيكون هو من قالها، وهو من كان يعرفها، وهو أول من نبَّه لها وأوَّل حذَّر منها وأوَّل من أرشد لها... وبكلِّ رشاقةٍ يكبس زر الحذف ويحذف كلَّ تناقضاته وكأنها لم تكن... وهات أقنعه بأنَّهُ كان موقفه كذٰلكَ.

هنا تثور الأسئلة الصَّعبة:

كيف يمكن أن نصل إلىٰ نتيجة في ظلِّ هٰذا المناخ؟

كيف يمكن أن نتجاوز هٰذه الفوضى والضَّبابية التي وصلت إليها سوريا والثورة السوريَّة؟

ومن ذا الذي يتحمل مسؤولية الاعتماد علىٰ هٰذه النماذج القيادية والتحليلية التي ساهمت في تكريس رأي عام مواقف ورُبَّما مواقف دولية خطيرة؟

لا يمكن اختزال الإجابة بعاملٍ واحدٍ أو أكثر من العوامل. نحن أمام تركيبة، بنية متكاملة، متداخلة ما بَيْنَ حسن نية، وسوء نية، وسوء تقدير، وضرورة واقعية... وغير ذٰلكَ، كلها أدت إلىٰ بلورة هٰذه الصُّورة النِّهائيَّة للمشهد والنَّتيجة العبثيَّة التي وصلت إليها سوريا والثَّورة السُّوريَّة.

الحقيقة الأكيدة الوحيدة الآن هي أنَّنا بحاجةٍ ماسَّةٍ إلىٰ كلِّ العقلاء والحكماء لوضع حدٍّ لشلال الدَّم وجحافل النُّزوح والتَّشرُّد... والدَّمار الفظيع الشَّنيع.

والبقية تأتي.

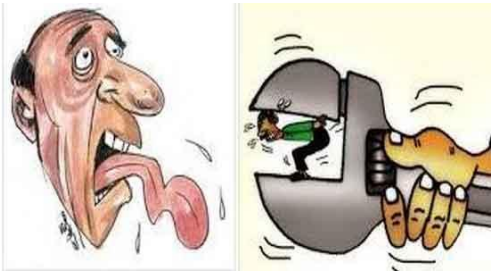

الفصل الثالث

الثورة السورية في المنطق

مسألة منطقيَّة[٣].، بل المسألة منطقيَّة ولا تحتاج إلىٰ كثير جهد من أجل فهمها لمن أراد أن يفهمها. يدرك المهتمون بالمنطق إدراكاً بداهيًّا هٰذه الحقيقة، وتمارسها النَّاس ممارسة تلقائيَّة من دون تفكير في كنهها. فمن استكنه قوانين المنطق لم يخترع شيئاً ولم يضف شيئاً سوى أن فكر في كيف يفكر.

هٰذه المسألة هي أنَّهُ من مقدمة واحدةٍ يمكن أن نصل إلىٰ نتيجة.

من مقدِّمتين يمكن أن نصل إلىٰ نتيجة.

(٣) .كتب هٰذا المقال ونشر في ٢٠١٥/٢/٢٢م.

من ثلاث مقدمات لا يمكن أن تكون هناك نتيجة.

أوضِّح قليلاً:

قلت من مقدِّمةٍ يمكن أن نصل إلىٰ نتيجةٍ، أعني أنَّهُ ليس من الضَّروري أن نصل إلىٰ نتيجة، وإنَّما هي في إطار الإمكان. وكذلكَ من مقدمتين يمكن أن نصل إلىٰ نتيجة؛ يمكن إذا كانتا متصلتين اتصالاً ما بموضوعٍ واحدٍ، وإلا فإنَّهُما لن تؤدِّيا إلىٰ نتيجة أبداً. كأن أقول الثَّورة السُّوريَّة عظيمةٌ، وأن أقول الصِّين دولةٌ اشتراكيَّةٌ. إنَّهما مقدِّمتان متخارجتان لا يمكن أن تقودا إلىٰ نتيجة. ولذلك من مقدِّمتين يمكن ولا ينبغي بالضَّرورة أن نصل إلىٰ نتيجة.

أمَّا إذا كنَّا أمام ثلاث مقدِّمات مهما كانت ذاته صلة بموضوع واحد فلا يمكن أن أبني نتيجة علىٰ المقدِّمات الثلاث، ومن البداهة بمكان أن الحكم ذاته بالحدِّ الأدنى ينطبق علىٰ أكثر من ثلاث مقدِّمات، بالحدِّ الأدنى يعني أن التَّعقيد يزداد بازدياد المقدِّمات، والامتناع واحدٌ بحدِّه الأدنى والأعلى.

لندخل في الموضوع بعد ما كان من التَّمهيد الكافي. بل اللازم أيضاً لما سيبنى عليه من أهميَّة.

الثَّورة السُّوريَّة التي انطلقت حددت نتيجتها سلفاً، وهٰذا حق، وبدأت من المقدِّمة أو المقدِّمتين اللازمتين لها، وهٰذا هو الأصل، والصَّواب. وصلت اليوم إلىٰ مرحلة من التَّشتت والضَّياع التي يتعذر معها الوصول إلىٰ نتيجة. الحقيقة التي يجب أن ندركها جيداً تنقسم إلىٰ قسمين. بل يمكن النَّظر إليها من زوايتين.

أولاً: في واقع الثَّورة السُّوريَّة اليوم نحن أمام عشرات المقدمات المختلفة والمتناقضة للقضيَّة ذاتها ونريد أن نولف بينها للوصول إلىٰ نتيجة وهٰذا ممتنع منطقيًّا، ممتنع علقيًّا، أي غير ممكن كما أوضحنا وبيَّنا. بل أوغل أكثر في تعقيد الوصول إلىٰ النَّتيجة وأقول مهما كانت النَّتيجة المراد الوصول إليها فإنَّ تعدد المقدمات التي تريد الوصول إليها يعني استحالة الوصول إليها، سواء أكانت النَّتيجة إسقاط النِّظام أو دولة علمانيَّة أو دولة دينيَّة... لأنَّ المقدِّمات هي القوى التي تريد الوصول إلىٰ هٰذه النَّتائج وكلها متناقضةٌ متكافئةٌ متنافرةٌ لا يجمعها جامعٌ.

ثانياً: النَّتيجة التي تريدها الثَّورة السُّوريَّة لا يمكن أن تتحقَّق من هٰذه المقدِّمات التي تحاول أن تقول إنَّها ستقود إلىٰ انتصار الثَّورة أو بمعنى آخر تحقيق هدف الثَّورة. المقدمات المطروحة لتكون سببا للوصول إلىٰ النتيجة المرادة كلها مقدمات كاذبة، خادعة، خاطئة، مفارقة، متخارجة مع النتيجة التي تريدها الثَّورة. نحن هنا في حقيقة الأمر أما معضلة أُخْرَىٰ غير المعضلة السابقة. المعضلة السابقة تقول بوجود مقدمات كثيرة. المعضلة هنا أنَّ هٰذه المقدمات فاسدة بالمنعى المنطقي والمعنى الواقعي. أي إنها في الاصطلاح المنطقي قضايا غير منتجة. وعلىٰ افتراض صدقها بأنها تريد تحقيق النتائج التي تعلنها فإن طبيعتها هي لا تقول أبداً أنَّها قادرة علىٰ إنتائج النتائج التي تنادي بها.

حَتَّىٰ نصل إلىٰ نتيجة لا بُدَّ من حذف كلِّ المقدمات والاقتصار علىٰ واحدةٍ فقط أو اثنتين بالأكثر وإلا فاعذرونا وابحثوا عن ساحر يقلب العصا ثعباناً ويحول اللهب إلىٰ ذهب.

نقطة انتهى.

حَتَّىٰ لا يأتي من يتفذلك ويزعم معرفةً في المنطق التقليدي وغير التقليدي والمنطق التخليلي ليقول لنا إنَّهُ يمكن التَّفكير خارج المنطق سأعطي مثالاً صغيراً. أوَّل منظومة تفكير خارج المنطق التقليدي كانت منظمة ريمان وبالتزامن معه لوباتشوفسكي المتعاكستين. كلتاهما صحيحةٌ منطقيًّا، ولٰكن كلتاهما تعمل في فضاء غير فضاء الواقع الاعتيادي؛ واحدة صلحت للفضاء الكوني الهائل والمساحات والمسافات الهائلة، وواحدة صلحت للفضاء الصِّغَرِيِّ المجهريِّ.

المنطق يحكم التفكير الواقعي الذي يعيش فيه العقل البشري، الطبيعي بمعنى من المعاني. أمَّا اللامنطق فيحكم التفكير اللاواقعي، اللاطبيعي نسبة إلىٰ بيئة العقل وميدان عمله. إذن لا أنكر وجود منطق غير المنطق التقليدي، أو ما يسمى قوانين التَّفكير وقواعد الاستدلال. ولٰكنَّهَا كلها منظومات لا تصح إلا في إطار بنيتها الخاصَّة فلا يمكن أن نقيس المسافات علىٰ الأرض بالثانيَّة الضوئيَّة، والعمل بوحدة المسافة هٰذه علىٰ الأرض ضرب من الاستعراض الأهبل وربَّما الخبيث.

إن عدم معرفتي بالقوانين لا يعني أن القوانين غير موجودة، ولا يعني أن ما يحدث يحدث خارج قوانين التفكير، أي خارج المنطق. أقول مثلاً: ما كان يمكن يوماً من الأيام أن أتخيل أن قتل البشر سهل علىٰ البشر إلىٰ واحدٍ بالمليون من هٰذا الحد الذي وصلنا إليه في سوريا... عالم الحيوان كله يفتقر إلىٰ هٰذه الوحشيَّة ولا يمكنه ممارستها.

حسناً، أنا لا أستطيع أن أتخيل، ولٰكنَّ من يمارس ذٰلكَ يمارسه بأريحيَّة.ويمكن الوصول إلىٰ تفسير علمي، أي منطقيٍّ لذٰلك.

إذن حَتَّىٰ تصل الثَّورة إلىٰ نتيجة يجب أن يلقى بكلِّ المقدِّمات الزائدة إلىٰ سلة المهملات والاقتصار علىٰ مقدمة واحدة أو اثنتين بالأكثر. إنَّ تعدد المقدمات لا يختلف أبداً عن الحكمة العالميَّة التي تقول: في مجتمع العقلاء يتكلَّم واحدٌ ويستمع الآخرون، وفي مجتمع المجانين يصغي واحدٌ ويتكلم الآخرون. تعدد المقدمات، كثرة المقدمات، هي صورة مجتمع مجاني لا مجتمع عقلاء. ومن ترقب نتيجة من مجتمع المجانين عليه أن يقبل بهم قادة قدوة له.

قد يعترض معترض بأنَّ الكل مخلصين.

علىٰ افتراض صحَّة هٰذا الاعتراض فإنَّهُ لا قيمة له أمام العمل المنهجي، أما التفكير السليم، التفكير المنطقي. ولٰكنَّ الحقيقة أنَّ الخيانة ليست تواصلاً مع الأعداء. قديما قالوا: ليس من الضروري أن تكون عميلاً لتكون خائناً، يكفي أن تكون غبيًّا. وعندما يتحرَّك الخونة في الوطن بارتياح، فاعلم أنَّ الأمة يجب من الوجود أن تنزاح.

من باب التذكير لا أكثر: الانتماء للأمة ليس بالاسم ولا بلون البشرة ولا حَتَّىٰ بحكم الولادة في بيئة الأمة أو حضنها. وكذٰلكَ الانتماء للدين ليس بالاسم ولا بالوالدين ولا بالقول. الانتماء سلوك منسجم مع الانتماء. وفي ذٰلكَ متسع للقول.

نقطة نقطتان ثلاث... ضعوا ما شئتم من النقط وبعدها فقط.

الفصل الرابع

سوريا للسوريين كلهم

سوريا للسُّوريين كلهم[٤] شاء من شاء وأبى من أبى. وكل من هو علىٰ الأرض السُّورية من غير السُّوريين إما ضيف عليه أن يلتزم آداب الضِّيافة أو معتدٍ عليه أن يتحمَّل نتائج عدوانه.

المعطيات الرَّاهنة علىٰ درجة من الضَّبابية والغموض الفوضى أوحت للكثيرين التَّفكير في الأوهام وتخيل الخيالات التَّحشيشية وتصور أنَّ هٰذه الخيالات والأوهام يمكن أن تكون واقعاً حقيقيًّا لا واقعاً تخيليًّا.

(٤) .كتب هٰذا المقال ونشر في ٢٠١٥/٣/١٨م.

نعم، في ظلِّ هٰذه الفوضى والضَّبابية والعبثيَّة كلُّ شيءٍ ممكنٌ. ولٰكن إلىٰ متى؟

طال الزَّمان أم قصر، ولن يطول كثيراً علىٰ أيِّ حال، سوريا هي فقط للسُّوريين ولمن التزم آداب الضِّيافة وحسب، وكلُّ ما خلا ذٰلكَ سيتم تصويبه علىٰ رغم أنوف الجميع. من لم يعرف سوريا عليه أن يعرفها جيِّداً قبل أن يقدم علىٰ تفكير أحمق مجنون، حَتَّىٰ لا يكون الثمن الذي سيدفعه غالياً.

صحيح أنَّ الثورة السُّورية أفرزت من العيوب والأخطاء والشخصيات العفنة الكثير إلا أنَّ ذٰلكَ ليس صورة الشَّعب السُّوري ولا حقيقته. الشَّعب السُّوري في أسوأ الاحتمالات مثل أي شعب من شعوب الأرض في خونة وفيه عملاء وفيه لصوص وفيه مجرمون... ولٰكنَّ الشَّعب السُّوري أعرق شعوب الأرض وأرسخها بنياناً وقد شهد التاريخ السابق كله بذٰلكَ وستشهدون كيف سيسطر السُّوريون ملاحم تفوق ما يتخيله الآخرون، ناهيكم عن أنَّهُ حَتَّىٰ الآن سجل من ملاحم العزة والكرامة والبطولة ما يسجِّله شعب في التَّاريخ، علىٰ الرَّغْمِ من كل النفخ فيما فعله الآخرون ليبدو عظيماً.

هٰذا الكلام أقوله للسوريين قصيري النَّظر الذين يفكرون مثل هٰذا التَّفكير قبل غيرهم، السُّوريين من جميع الأطياف والأطراف. وبعد ذٰلكَ أقوله لمن سولت لهم أنفسهم استسهال اقتحام العرين السُّوري في غفلة من عين السُّوريين في ظلِّ الفوضى والعبثيَّة واللامعقولية التي تمرُّ بها سوريا.

هٰذا الكلام ليس شعاراً، ولا تهويلاً، ولا تبجحاً... إطلاقاً. من لا يعرف عقلية الشُّعوب، من لا يعرف التَّاريخ، لا يمكن أن يفهم حقيقة تصرف الشُّعوب ورد فعلها.

كانت الجزائر من أوائل الدُّول العربيَّة التي احتلَّتها فرنسا، ولم تنقطع المقاومة الجزائريَّة للاحتلال منذ بدايته، ولكنَّ المقاومة كانت أعجز عن النَّيل من الاحتلال الفرنسي، خاصَّة وأنَّ فرنسا كانت في ذروة قوتها من جهة، وكان العرب عامَّة علىٰ حالٍ من البعد عن معطيات العصر من مختلف الجوانب ومنها أساليب مقاومة الاستعمار الحديث.

عندما استبدَّ اليأس بالجزائريين في مقاومة الاستعمار الفرنسيِّ الذي كان يحاول تكريس أنَّ الجزائر جزءٌ من فرنسا، راحَ بعض الشُّيوخ يختمون أدعيتهم بعد الصلاة بقولهم: «....اللهم اجعل فرنسا تحتل/ تغزو الشَّام».

وهٰذا ما أثار حفيظة النَّاس الذين لم يجدوا بدًّا من الاحتجاج علىٰ أشياخهم والتَّذمر من إرادة الشَّرِّ لدولةٍ مسلمةٍ شقيقةٍ قائلين: «ألا يكفينا مصابنا من الاحتلال الفرنسي حَتَّىٰ تدعو أن يقوم الفرنسيون باحتلال الشام؟!».

كان جواب الشُّيوخ: حَتَّىٰ نخلص من الاحتلال الفرنسي.

وكان الاعتراض من جديد: وهل نخلص من الاحتلال بأن يقوم الفرنسيون باحتلال أرض مسلمةٍ أخرى؟

وكان جواب الشُّيوخ: بل لأنَّ الغزاة لا تتكَّسر نصالهم ولا يعرفون الهزيمة إلا في الشَّام... الشَّام عَبْرَ الزَّمان مقبرة الغزاة.

هٰذا من رواية الطَّلبة الجزائريين الدَّارسين في سوريا نقلاً عن آبائهم، عند سؤالهم عن سبب اختيارهم دمشق ليدرسوا بها.

هٰذه صورة الحقيقة من الآخر. عندما دخلت فرنسا سوريا خرجت من التاريخ، وبخروجها من سوريا كانت نهايتها الإمبراطورية. ومثلها غيرها عبر التَّاريخ. وحدهم الأهل لا يعتبرون غزاة.

إذن لا يتمادينَّ أحدٌ في أحلامه حَتَّىٰ لا يرتفع الثَّمن الذي سيدفعه.

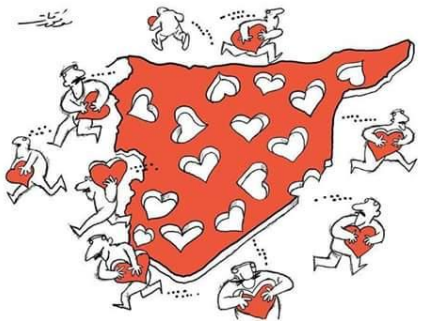

الفصل الخامس

لماذا يستغبون المعارضة السورية؟

لا ألوم أمريكا في استغبائها المعارضة السُّوريَّة[٥]، نعم، لا ألوم أمريكا ولا الغرب في استغبائهم المعارضة السُّوريَّة واستحقارها والانتقال من مناصرة الثَّورة السُّوريَّة إلىٰ محاربتها.

نقطتان قبل البدء:

الأولىٰ هي أنَّ الموقف الغربي كان حقيقةً في الأشهر الأولىٰ مناصراً للثَّورة السُّوريَّة متعاطفاً معها.

(٥) .كتب لهذا المقال ونشر في ٢٠١٥/٣/١٩م.

والثَّانية أني لا أريد التَّبحُّر في غباء المعارضة السُّوريَّة التي تنطعت لتمثيل الثَّورة، ولا لبلاهتها ولا لصوصيتها ولا استعراضها الأجوف، ولا عقد الزَّعامة ولا طعنهم ببعضهم بعضاً، فهٰذا بحرٌ يكاد يكون لا شواطئ له من كبره. أريد الوقوف فقط عند نقطةٍ واحدةٍ هي التَّعامل مع أمريكا وحدها دون سواها في إطار الثَّورة السُّوريَّة.

خلاصة تعامل المعارضة السُّوريَّة التي تنطعت لقيادة الثَّورة وتمثيلها أنَّ أمريكا تقول لهم: ثور، والمعارضة تقول: احلبوه. الثَّور هو المثل ولا أعني به أشخاص.

أعلنت أمريكا منذ بدء الثَّورة مئات المرَّات لا عشرات المرَّات أنَّها لن تسلِّح الثَّورة السُّوريَّة، وأنَّها لن تسمح بتسليح الثَّورة السُّوريَّة، وأنَّها لن تتدخل عسكريًّا لإنقاذ الشَّعب السُّوري ومع ذٰلكَ ظلَّت المعارضة علىٰ مدار سنوات الثَّورة تطالب أمريكا بالتَّدخُّل والسِّلاح وتنتظر التَّدخُّل وتقديم السِّلاح.

كيف تريدون من أمريكا أن تتعامل مع هٰذه البلاهة؟

قبل ذٰلكَ أتساءل: ما حقيقة هٰذه المعارضة في هٰذا السلوك الغبي؟

إنَّهُم في حقيقة الأمر، ما عدا استثناءات قليلة، ثلَّةٌ من اللصوص والأفاقين والمتسلقين المتشردين في شوارع العالم الذين ركبوا الثَّورة وراحوا يبيضون علىٰ السُّوريين الذي يعيشون في قلب البركان وتسيل دماؤهم أنهاراً. أدركوا حقيقة ألم السُّوريين وركبوا هٰذا الألم وعاشوا علىٰ حساب دمائه وعذاباته في فنادق الخمس نجوم، وساحوا في أرجاء العالم علىٰ حساب دماء السُّوريين وعذاباتهم، وأرادوا وما زالوا يريدون بقاء الثَّورة من أجل استمرار امتصاص دماء السُّوريين، ولذٰلك تآمروا مع مؤامرة الغرب علىٰ الثَّورة وعلىٰ سوريا وراحوا يبيضون كلَّ يوم المناشدات بالتَّدخُّل وطلب السِّلاح وطلب الحظر الجوي...

ليظهروا علىٰ أنَّهُم يقومون بدورهم في حثِّ المجتمع الدولي علىٰ دعم الثَّورة، وأنَّهُم لا يقصرون.

هٰذا في أحسن الظنون. لأنَّ الظَّنَّ الثَّاني هو أنَّهُم يتجاوزون ذٰلكَ إلىٰ البلاهة الحقيقيَّة والغباء الحقيقي وعدم فهم ما يدور، وعدم القدرة علىٰ استقراء ما هو كائن، فأضافوا إلىٰ مسوءة الفساد الفاجر مسوءة الغباء والبلاهة. وإلا كيف يمكن أن أفهم أنَّهُم علىٰ مدار أربع سنوات لم يدركوا مئات التَّصريحات الأمريكيَّة بعدم التَّدخُّل وعدم المساعدة وعدم التَّسليح بل عدم السَّماح بالتَّسليح؟! بل إنَّ أكثرهم صار يعترف في الفترة الأخيرة بافتقار الإئتلاف إلىٰ القدرة علىٰ الفهم والتَّخطيط والتَّفكير...

سيقول بعضهم بأنِّي أتجنَّى. وأنَّ أمريكا ظلَّت تعلن دعمها للثورة، وظلَّت تعلن رغبتها في التَّسليح وهلم جرًّا.

حسناً. أنا لن أختلق شيئاً غير موجودٍ. ولن أتجاوز الخبر إلىٰ تأويله. سآتي بسلسلة تصريحات نشرتها في أوقاها وتواريخها منذ أوَّل الثَّورة إلىٰ اليوم. ولأنَّهَا كثيرةٌ جدًّا سأقف عند محطَّات فقط بالتَّاريخ والشَّخص، وكلها مما نشرته وعلقت عليه في وقته وحينه ونبهت إليه وحذرت من مغبة تسليم الثَّورة لأمريكا وحلفائها. لن أعرض كلَّ التَّصريحات في جدُّ كثيرة جمعتها مع تحليلي لها وتعليقي عليها في سلسلة كتابي: الثَّورة السُّوريَّة والمؤامرة الكونيَّة، ولوحات من ألم الثَّورة. سأقف عند محطَّات سريعةٍ وخاطفةٍ من أوَّل الثَّورة إلىٰ أوائل عام ٢٠١٣م:

في ٢٠١١/٧/١٦م فيما أذكر: اجتمعت قيادات المعارضة بالسَّفير فورد في بيت حسن عبد العظيم بدمشق، وقال لهم حرفيًّا: «لا تتوقعوا أن تتدخل أمريكا لمساعدة الثَّورة».

في ٢٠١٢/٧/١٨م: قال الأمريكيون بوضوح «لن نتَّخذ أيَّ إجراء قبل نهاية الانتخابات الأمريكية» وفي هٰذا إشارةٌ صريحةٌ إلىٰ عدم التَّدخُّل، ولذٰلك علَّقت قائلاً: «ولن يتَّخذوا أيَّ إجراءات بعد الانتخابات... لم تفهم قيادات الثَّورة ذٰلكَ ولن تفهم».

في ٢٠١٢/١٠/١٠م: أمريكا وفرنسا تعلنان ضرورة تسليح المعارضة السُّوريَّة... وبعد يومين يعلنان أنَّ تسليحها يتنافى مع القوانين الدوليَّة.... تَكرَّر مثل ذٰلكَ بالحرف نحو عشرين مرَّةٍ علىٰ مدار السَّنوات الثَّلاث السَّابقة.

في ٢٠١٢/١٢/١٢م: هناك طبخة أمريكيَّة روسيَّة لفرض حكومة وفاق من النِّظام والمعارضة وبقاء كلِّ شيء علىٰ ما هو عليه. وعلقت علىٰ ذٰلكَ: «لم يتغير الموقف الأمريكي بالجملة... متى يفهم أدعياء تمثيل الثَّورة؟». طبعاً هٰذه الحكومة هي الحكومة ذاتها التي تريد أمريكا فرضها اليوم لتفتيت السُّلطة ولبننة أو عرقنة سوريا.

٢٠١٢/١٢/٢٨م: كتبت استقراءً: هناك مشاريع قذرةٌ أمريكيَّةٌ إسرائيليَّة أوروبيَّة وحَتَّىٰ دول عربيَّة كبرى ضالعةٌ في موضوع دفع سوريا نحو محاصصةٍ طائفيَّة وعرقيَّة... بالمناسبة، كتبت عشرات المرَّات في موضوع المشاريع الخارجيَّة لدفع سوريا نحو هٰذه الهاوية بناء علىٰ معطيات وقراءة ما بَيْنَ السُّطور.

في ٢٠١٣/٢/٩م: قال الرئيس أوباما: «لن نسمح بوصول أسلحةٍ نوعيَّةٍ للمعارضة تهدِّد أمن إسرائيل وأمريكا؟!». هٰذا الكلام لا يحتاج إلىٰ تفسير أكثر مما هو واضح فيه.

في ٢٠١٣/٢/٢٨م: جون كيري يقول: «لن نسلح المعارضة السُّوريَّة حَتَّىٰ يتمَّ تطهير الجيش الحرِّ من الإسلاميين»... أي حَتَّىٰ يقتتل الجيش الحر مع

بعضه ويترك النِّظام. هل تحتاج إلىٰ توضيح. وهٰذا ما يبدو اليوم بوضوح لا لبس فيه. من لم ير سابقاً لن يرى اليوم.

في ٢٠١٣/٣/٤م: جون كيري: «سنعمل علىٰ دعم المعارضة السُّوريَّة وعدم تسليحها». هٰذا ليس تصريحاً فيما يبدو، إِنَّهُ سؤال الترليون دولار في من سيربح المليون.

هٰذه محطَّاتٌ عابرةٌ سريعةٌ من محطَّات كثيرةٍ من الموقف الأمريكي علىٰ نحو خاصٍّ، من دون التَّعريج علىٰ تعامل هٰذه المعارضة مع مواقف الدُّول الأُخْرَىٰ قاطبة. فيها دلالات واضحةٌ علىٰ حقيقة واحدةٍ هي أنَّ أمريكا لن تتدخَّل ولن تساعد الثَّورة السُّوريَّة ولن تسمح بسقوط النِّظام إلا في ظلِّ شرطين أو أحدهما:

الأوَّل: أيُّ نظامٍ بعد الأسد يجب أن يحقِّق المصالح الأمريكيَّة الإسرائيليَّة بامتياز.

الثَّاني: فرض نظام حكم (تحاصصي غالباً) يمنع سوريا من أن تكون دولة قادرة علىٰ أي فعل لعشرات السنين.

تيقنتْ أمريكا مبكراً لأسبابٍ كثيرةٍ من تعذُّر تحقُّق الشَّرط الأول فركَّزت مبكِّراً علىٰ الشَّرط الثَّاني وراحت تخطِّط بهدوء له وما زالت تسير علىٰ طريق تحقيقه.

المهم من ذٰلكَ كله أمران فيما يخص الإطار الذي نتحدث فيه:

الأوَّل: أنَّ أمريكا كانت واضحةٌ صريحةً منذ البداية في موقفها من الثَّورة والنِّظام، ولم تخدع أحداً أبداً، ولٰكنَّ قيادات الثَّورة السُّوريَّة السِّياسيَّة والعسكريَّة هي التي أصرت علىٰ عدم الفهم والتَّمسح بالحذاء الأمريكي بإلحاحٍ شديدٍ طلباً لما أعلنت أمريكا مراراً أنَّها لن تقدِّمه. ولذٰلك اضطرت الولايات المتحدة بَيْنَ الحين والحين إلىٰ تصريحاتٍ مواربةٍ وخداعٍ وضحكٍ علىٰ اللحىٰ من قبيل:

سنسعىٰ... سنسلح المعارضة بأسلحةٍ غير قاتلةٍ، سندعم الثَّورة مساعدات فنيَّة من قبيل أفلام كرتون... كلُّه مسخرة بمسخرة اقتضتها، ما عدا طبيعة السِّياسة الأمريكيَّة، بلاهة قيادات الثَّورة وعلىٰ رأسها الإئتلاف.

الثَّاني: هٰذا الغباء نفسه أتاح لأمريكا التَّخطيط كما تريد لتحقيق مصالحها ومشروعها من تقدُّم الثَّورة وتقهقرها والسَّيطرة علىٰ الجيش الحرِّ أو ما تسميه المعارضة المعتدلة وَفْقَ مسلسلٍ طويلٍ ما زالتْ في بدايته لأنَّهُ حَتَّىٰ الآن لم تفلح في تكوين جيش سوري مرتزق تعتمد عليه. نجحت في اختراق الجيش الحر، وتكوين خلايا وتشكيلات صغيرة، ولٰكنَّهَا كلها غير قادرةٍ وليست مضمونةً. وأمريكا تدرك هٰذه الحقيقة، ولذٰلك تظلُّ تنغِّم علىٰ ضرورة بقاء الأسد، وأخيراً دخول أمريكا في حوار مع الأسد.

المسلسل طويلٌ أليمٌ. صريحُ ما أردت قوله، وما أريد أن أختم به، أنِّي أتوجَّه باللوم والاتهام والإدانة إلىٰ الأدعياء الذين قادوا الثَّورة في غفلة من الشَّعب السُّوري وضرورة اقتضها المرحلة... هم المسؤولون عن إطالة أمد الثَّورة وضياع والفوضى والعبثية التي وصلت إليها الثَّورة وسوريا.

ويجب أن يدرك كل من يقرأ أنَّ إدانتي لقيادات الثَّورة لا تعني أبداً أني أدافع عن النِّظام ولا أبرئه، بل أحمله المسؤولية الأولى، لأنَّهُ لولاه لما وصلت الأمور إلىٰ ما وصلت إليه.

الفصل السادس

غوغائية المعارضة السورية والعربية

سجِّل أيُّها التَّاريخ أنَّهُ لمن أشدِّ مآسي التَّاريخ أن يمثِّل أعظم ثورة أناسٌ هم تقف الألسن حائرة في وصف تقصيرهم وأنانيتهم وعبثيتهم ومدى ما ألحقوه من ضرر بالثَّورة السُّوريَّة(٦).

ما هٰذه المعارضة التي لا بُدَّ أن يكون عنوان كلِّ اجتماع من اجتماعاتها تبادل الصَّفعات؟

(٦) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/٤/١٤م ونشر في الفترة ذاتها.

ما هي هٰذه المعارضة التي مضى عليها أكثر من أربع سنوات وحَتَّى الآن لم تقدِّم للثَّورة أيَّ مشروعٍ أو مخطَّطٍ يساعد الثَّورة ولو مثل بعض ربع ما يساعدها به رجلٌ سوريٌّ واحدٌ مع الثَّورة وليس من المعارضة؟

ما هي هٰذه المعارضة التي بغبائها وتناحرها تجعل رجال النِّظام يتنطعون لتمثيل الثَّورة؟ أليس لأنَّ هٰذا الاعتلاف مشوَّهٌ عند الثَّوار إلىٰ الحدِّ الذي يجعلهم يقبلون بأيِّ كلبٍ بدلاً عنهم؟

لا نعدِّد الأمثلة علىٰ تنطُّع رجال النِّظام لتمثيل الثَّورة وقد أشرنا غير مرةٍ إلىٰ ذٰلكَ، الأمثلة كثيرة من جنيف ٢ إلىٰ اليوم، حسبنا ما يسمى منتدى موسكو واد واثنين التفاوضي. وقبل ذٰلكَ تنطع رجال النظام لتشكيل إئتلاف قوى معارضة جديد يحلُّ محلَّ الإئتلاف الذي أثبت أنَّهُ إن لم يكن عدوًّا للثَّورة فإنَّهُ عبد لأعداء الثَّورة السُّورية.

رُبَّما يمكن بعد الجهد أن نلتمس حجَّةً لواحدٍ يعيش خارج سوريا منذ ما قبل الثَّورة أن يتنطَّع لادعاء تمثيل الثَّورة، وللحقيقة والتَّاريخ فإنَّ معظم أعضاء الاعتلاف الآن وقبله المجلس الوطني من السُّوريين الذين لا يعرفون سوريا إلا علىٰ الخريطة رُبَّما. ومع ذٰلكَ يمكن أن نعصر بصلةً علىٰ أنوفنا ونقبل بهم ممثلين للثَّورة.

المعارضة السُّوريَّة بكلِّ مكوِّناتها تذكرني بحكاية ما زلت أرويها من سنين طويلة. يحكى أنَّهُ دنا الموت من أحدهم وعانى في موته، فشعر أنَّهُ رُبَّما اقترف ذنباً يجب أن يستسمح له. فطلب السَّماح من أهله فسامحوه. ولم يمت واشتدت المنازعة عليه صعوبةً. فوجَّه أبناءه إلىٰ أقاربه القريبين، ثمَّ

أقاربه البعيدين، ولم يتغيَّر شيءٌ. فطلب الصَّفح من الجيران، ولم يتغيَّر شيءٌ، ثُمَّ إلىٰ جوار الجيران، ولم يتغيَّر شيءٌ... وأخيراً تذكَّر حيواناته فحملوه إليها، وبكى أمامهم، وطلب الصَّفح منهم والسَّماح إن قصَّر معهم.

علا خوار الثَّور وأومأ أنَّهُ سامح.

والحمار نَهَقَ أنَّهُ قد سامح.

والخرفان فعلت...

وعندما وصل إلىٰ الجمل هزَّ الجمل رأسه مستنكراً.

فقال له: ماذا هنالك؟

قال الجمل: حرثت الأرض عليَّ بَدَلَ الثَّور أو الحمار سامحتك عليها... عطَّشتني أكثر من كلِّ الحيوانات... سامحتك علىٰ ذَلكَ... كنت تطعم البقر والحمار أكثر مني، أيضاً سامحتك... وفعلت كذا وسامحتك، وكذا وسامحتك... شيءٌ واحدٌ لا أستطيع أن أسامحك عليه، وهو أن تربطني بذيل الحمار وتجعل الحمار يقودني، فهٰذا ما لا يمكن أن أسامحك عليه.

وهٰذه هي قصة الثَّورة مع الحمير الذين يتقدَّمونها ويقودونها.

ومن كان لديه اعتراضٌ فليقله لعَلَّنا أخطأنا.

الحقيقيَّة التي لا بُدَّ من التَّركيز عليها في هٰذه الآونة وكلِّ آونة هي أنَّ ما يسمَّى معارضة في العالم العربي، ومنذ عشرات السنين، لا ترقى أبداً إلىٰ استحقاق اسم المعارضة، ولا تستحقُّ شرف نيل هٰذا المهمة. فلقد أثبتت المعارضة العربيَّة في أقطار الوطن العربي قاطبةً أنَّها في الملمَّات والأزمات

والمنعطفات السَّهلة والصَّعبة أعجز عن أن تصل إلىٰ أدنىٰ مستويات المقبول، وأدنىٰ مستويات الوطنية والحسِّ بالانتماء. وتوزعت ما بَيْنَ ثلاث أنواع رُبَّما لا رابع لها:

أولها العمالة الصريحة والارتهان لأعداء الوطن والقطر. أعداء الوطن أو القطر لا حاجة للتَّفصيل فيهم، ولٰكنَّ ما لا بُدَّ من الإشارة إليه هو أنَّ الأنظمة العربية بجملتها وتفاريقها تقريباً أعداء للوطن. ولهٰذه الأنظمة اصطنعت أقنعةً لأناسٍ سمَّتهم معارضين، يقومون بدور المعارضة علىٰ أكمل وجه، بما في ذٰلكَ اعتقالهم وهروبهم ومطاردتهم... ولكنَّ هؤلاء كما بينا في غير هٰذا الموقع يصطفون مع النِّظام عند أيِّ تهديدٍ فعليٍّ للنِّظام مهما كان، علىٰ أساس أنَّهُم معارضة وطنيَّة شريفة غير مرتهنة للخارج!!

ثانيها الغباء والسَّطحيَّة المثيرة للتقيؤ. لا أريد أن أطيل هنا، ولٰكنَّ ما لا بُدَّ من أن توضع بعض النِّقاط علىٰ حروفه، أنَّ المعارضة التي كانت بارزةً في العالم العربيِّ، علىٰ قَدْرٍ محدودٍ من الذكاء، بعضهم علىٰ قدر من الثَّقافة كافية، ولٰكنَّ محدودية التفكير وقدراته تجعل منهم آفات أخطر علىٰ الوطن من الآفات الطبيعيَّة والكوارث الخطيرة. بمناسبات عديدة، وبحكم الضَّرورة الواقعيَّة، تواصلت مع كثيرٍ منهم في العالم العربي ومنهم والأكثر في سوريا. منذ سنين كثيرة قطعت الأمل منهم. وكنت أشفق علىٰ الوطن من أمثال هؤلاء المعارضين. وكان بالفعل ما توقَّعت عندما احتاج الوطن إلىٰ المعارضين.

ثالثها نظيفةٌ مشتَّتة مهمَّشةٌ وهي قليلة العدد والفعل.

أعود هنا إلىٰ الصِّنفين الأولين. كلاهما انغلق علىٰ ذاته ضمن مجموعاتٍ فئويَّةٍ حزبيَّةٍ أو طائفيَّةٍ أو مناطقيَّةٍ أو عشائريَّةٍ... وروَّج فقط لمن ينتمي إليه، وقامت بتهميش كلِّ من لا يعزف علىٰ أوتاره. كان من الطَّبيعي أن يكون هناك معارضون لا يريدون الانتماء إلىٰ أيِّ طرفٍ أو فريقٍ لأنَّ همَّهم أن ينتقدوا الأخطاء، أمثال هؤلاء قليلون عدداً، قليلون فعلاً. وهم محاصرون بالنظام وهياكل المعارضة.

والممارسة التي تجمعها هٰذه الأطراف كلها رُبَّما من دون استثناء هي الإقصائيَّة والتخوين، وتخيلوا ماذا يمكن أن يحدث عندما الخائن يقوم بتخوين الآخرين!!! أو أنَّ الغبي أو الجاهل يقوم باتهام الآخرين بالغباء والجهل!!! التَّخوين غالباً هو الذَّريعة الأكثر حضوراً لممارسة الإقصاء. كيف لا وعدم الإقصاء يكشف عوار الخائن والجاهل ويفضحه؟!!

تُمارسُ الإقصائيَّةُ علىٰ أسسٍ وخلفياتٍ متعدِّدةٍ متفرِّقةٍ أو رُبَّما مجتمعةٍ، فالذين يقومون بدور المعارضة، أقول يقومون بدور المعارضة لأنَّهُم لا يستحقُّون أن يكونوا معارضةً. تمترسوا في منغلقات فئويَّةٍ إمَّا طائفيًّا أو حزبيًّا أو عشائريًّا أو مناطقيًّا أو أيديولوجيًّا.

لقد كَشَفَ الرَّبيعُ العربيُّ عوار هٰذه المعارضة من المحيط إلىٰ الخليج. برز ذٰلكَ واضحاً في دول الربيع العربيِّ، ولٰكنَّ الدُّول التي لم تشهد الرَّبيع حَتَّىٰ الآن لم تقل معارضها فجوراً عن معارضة دول الرَّبيع العربيِّ فكلها تقريباً وقفت مع الطغيان والوحشيَّة في مواجهة الرَّبيع العربيِّ. وقبل الرَّبيع العربيِّ لم تكن أحسن حالاً في احتلال العراق مثلاً إذ كانت المعارضة هي جنود الاحتلال الأمريكي.

طبيعيٌّ، كلُّ ذَلكَ طبيعيٌّ، المجتمع العربي مجتمع متخلف ولن تكون معارضته إلا نسخةً منه. عندما ينزع المجتمع العربي رداء التَّخلف ستكون معارضته جديرة بأن تكون معارضة.

علىٰ أي حال، لهٰذا مشهد صغير لا أكثر من مشاهد غوغائيَّة المعارضة السُّوريَّة والعربيَّة. لا ترجعوا إلىٰ التاريخ كثيراً ابحثوا في الحاضر ففيه ما يكفي.

الفصل السابع

من الذين تجب محاكمتهم بعد الثورة؟

الثَّورات لا تقوم لتفتح محاكم التَّفتيش[٧]. الثَّورات لا تقوم لتنصب المشانق والمقاصل. الثَّورات لا تقوم لتعدم الناس. الثَّورات تقوم لتحيي النَّاس من بَيْنَ براثن الجلادين الذين ثارت عليهم. الثَّورة تقوم لتقيم العدل لا لتفتح سرادق الظلم الذي ثارت عليه. وإلا فإنَّهَا ليست ثورةً... إنَّهَا أيُّ شيءٍ إلا أن تكون ثورة. بل إنَّهَا أيُّ شيءٍ سيءٍ لا أيَّ شيءٍ جيِّد.

(٧) .كتب لهذا المقال ٢٠١٥/٥/٢٥م ونشر في الفترة ذاتها.

هٰذه هي الحقيقة التي يجب أن تكون ماثلة في أذهان الجميع. وعلىٰ من آمن بغير هٰذه الحقيقة أن يعيد النظر في قناعاته وقيمه وأخلاقه، عليه أن يعيد النظر في بنية وجدانه.

لا أقول هٰذا الكلام دفاعاً عن أحدٍ ولا هجوماً علىٰ أحدٍ.

منذ فترةٍ غير قصيرةٍ بدأت الإفتاءات من مختلف الجهات والأحزاب والحركات بمن يجب أن تعدمهم الثَّورة عندما تنتصر. وفي أحسن الحالات تصدير قوائم بمن يجب إقصاءهم من الحياة السِّياسية والاجتماعية وإلغاء وجودهم إن لم يتم إعدامهم...

في بعض هٰذه القوائم سنجد أكثر من نصف الشعب السوري لن يكون خارج التغطية وحسب بل سيكون تحت الأرض بألف طريقة وطريقة.

حسناً، سأقول بداية إن كانوا يستحقون هٰذه النتيجة فلا يحق لي ولا يحق لأحد الاعتراض علىٰ ذٰلكَ أبداً، وأزيد تأكيداً لا يحق لأحد أن يعترض بأي طريقة من الاعتراض، ولٰكن إن كانوا فعلاً يستحقون هٰذه النتيجة؛ أن يكونوا تحت الأرض لا فوقها.

أما أن يكونوا محرومين من حقوقهم السِّياسية والاجتماعية والمدنية... فهٰذا أمر غير ممكن واقعيًّا، وغير جائز في أي قانون من القوانين. لا يوجد إنسان يمكن أن يعيش من دون هٰذه الحقوق، يمكن أن يحرم من أحدها تحت ظرف أو شرط زمني وموضوعي معين، أمَّا أن يحرم منها كلها فهٰذا لا يستقيم مع شريعة ولا قانون ولا وجدان أبداً.

إذن ثَمَّة شريعة وقانون وحَتَّىٰ وجدان هو الذي يجب أن يكون سنداً ومرجعاً وأساساً في التصفيات أو المحاكم الثَّوريَّة. ولا يحقُّ لكلِّ من هَبَّ وَدَبَّ أن

يفتي ويتمنطق ويتفهمن ويتفتوق ويتفتوء فيمن يجب إعدامهم أو إخراجهم من تغطية الوجود الاجتماعي أو السِّياسي أو المدني أو غير ذَلكَ.

لا اعتراض من جهة المبدأ علىٰ العقاب، ولا أزيد في الطنبور نغماً إذا قلت بل الواجب هو العقاب. ولٰكن لا عقاب من دون ذنب، لا قصاص من دون جريمة.

قد يعترض معترض قائلاً: ولٰكنَّ النِّظام يقتل ويعتقل ويشرد الأبرياء الذي لا ناقة لهم ولا جملاً في الصراع... يقتل الأطفال والنِّساء والشُّيوخ والشَّباب لا يميِّز بَيْنَ أحدٍ وأحد، بَيْنَ من ثار عليه بَيْنَ من لم يثر... وقد دمر وشرد ونهب...

هٰذا صحيح. وعار علىٰ من لا يرى هٰذه الحقيقة. فماذا يجب أن يكون في هٰذه الحال؟

هل يجب أن تعدم الثَّورة كل من وقف مع النِّظام وكل من سكت عن النِّظام وكل من لم يشارك في الثَّورة وكل من اشتغل النِّظام في يوم من الأيام؟!

إذا نظرنا في فتاوى الفيلفيسبوكيين منهم النكرة المجهول ومنهم المعروف ومنهم المشهور ومنهم من هو بلا قيمة ومنهم من له مكانته وقيمته، يطالبون بإعدام هٰؤلاء جميعاً غير مميزين بَيْنَ صالح وطالح، بَيْنَ جيدٍ وسيئ، بل غير مدركين أم أكثر الذي يريدون من الثَّورة أن تعدمهم وفي الحد الأدنى تحرمهم حقوق الحياة الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة والمدنيَّة إنَّمَا هم من أوائل الثوار ومن أهم الذين ثاروا علىٰ النِّظام.

هل يعقل هٰذا الكلام؟ أليس الجنون أكثر تعقلاً من هٰذا الكلام؟

إذا كان الذين خرجوا في الثَّورة متأخرين أو متسلقين أو منافقين يريدون محاكمة الثوار الحقيقيين فهٰذا يعني أنَّهُم ثورة مضادة تخدم النِّظام أو في أحسن

الأحوال تعمل علىٰ استبدال طغيان بطغيان أشد وأحقر وأقذر. أي ثورة هٰذه التي تحاكم رموزها وأعلامها؟

هٰذه هي الحقيقة التي لا يدركها المتفتوقون أو أنَّهُم يدركونها ويعرفون ماذا يفعلون. بتعميماتهم الغبية وربَّما المقصودة انتقلوا فجأة من محاكمة رموز النِّظام والمجرمين إلىٰ محاكمة الثوار الشرفاء الصادقين بذرائع ما أنزل الله بها من سلطان.

أنا هنا أمام حقيقة عزَّ وجود بديل لها وهي أنَّ لصوص الثَّورة الذين تصدروا المشهد وهيمنوا علىٰ الثَّورة يريدون التَّخلُّص من الشُّهود، يريدون التَّخلص من الطَّهارة التي تذكرهم بعهرهم وتفضح جرائمهم بذريعة أنَّ هٰذا ابن النِّظام، وهٰذا تربية النِّظام، وهٰذا اشتغل مع النِّظام... والتهمة الأشهر أنَّهُ ابن البعث. وعلىٰ الرَّغْمِ من أنِّي كتبت سابقاً في ذَلكَ إلا أني فقط ألفت عناية الجميع إلىٰ أنَّ الأحزاب السورية كلها قبل الثَّورة اليسارية واليمينية وقفت وما زالت تقف مع النِّظام بقضها وقضيضها، وأفرادها وقياداتها، إلا استثناءات قليلة من الأفراد. وإذا نظرنا في شهداء الثَّورة لم نجد لهم أحداً إلا عرضاً أو ما يذكر نسبة بالمقارنة من غيرهم.

علىٰ أيِّ حالٍ، لنفترض أنَّ الأمر لم يصل إلىٰ هٰذه الصورة الصورة الأخيرة من محاربة الثوار الحقيقيين. لنقف عند الإعدام الشامل للنظام ببنيته الأخيرة، أي البنية التي بقيت مع النِّظام في الثَّورة.

هنا يجب أن نسأل: ما النِّظام الذي يجب إعدامه؟

لا مانع نظريًّا ولا عمليًّا ولا قانونيًّا من إعدام النِّظام. ولٰكنَّ ما النِّظام الذي يجب أن يتم إعدامه؟ وما طبيعة هٰذا الإعدام؟ وهل ستخترع الثَّورة السورية شرعيَّة ثوريَّة غير خلاصة الشَّرعيَّات الثَّوريَّة عبر التاريخ؟

في ساعة الجنون كل شيء ممكن، وكل شيء يمكن تنفيذه، طالما أنَّهَا ساعة جنون. ولٰكن عندما تأتي ساعة العقل ماذا سيكون؟

المسألة سهلة بسيطة لا معقدة ولا يستحسن تعقيدها. في حالة الحرب تحدث أشكال العجائب وألوانها، وأشكال الأخطاء وألوانها، لٰهذا ليس تسويغاً لها، ولٰكنَّهَا تقع. ولٰكن عندما تضع الحرب أوزارها يجب أن تختلف البنى كلها، وطرق التفكير كلها، وطرق غدارة الحدث والأزمة كلها. أقول يجب، ولٰهذا ما يحدث غالباً.

وعلىٰ لٰهذا الأساس يجب أن نفكر قبليًّا كي نختصر الكثير من المسافات المعقدة، ونضع الآخرين أمام مسؤلياتهم.

هناك مجرمون هم من تجب محاكمتهم. وهناك مستويات من الحرمان من الحقوق المدنية أو السِّياسية أو الاجتماعية ليست جديدة علىٰ التفكير البشري. هناك مشتركون مع النِّظام بسكوت أو صمت أو شبه ذٰلكَ لا تصل جريمتهم إلىٰ حدِّ الإعدام يمكن حرمانهم من الحقوق السِّياسية أو بعضها فترة تطول أو تقصر، ولا يجوز بحال من الأحوال الحكم عليهم بالإعدام السِّياسي أو الاجتماعي أو المدني، هم بشر في مطلق الحال ولهم ما لهم وعليهم ما عليهم.

وفي الوقت ذاته، وفي مقابل ذٰلكَ تماماً أرجو أن لا يفهم من ذٰلكَ أن الجرائم التي ارتكبت باسم الثَّورة يجب أن تمر من دون محاسبة أو معاقبة أو محاكمة. هناك الكثير من متسلقي الثَّورة الذين تجب محاكمتهم محاكم ميدانيَّة لا تقلُّ شدِّةً وقسوةً عن محاكمة مجرمي النِّظام. بل ثَمَّة من يقول إنَّ مجرمي النِّظام يقتلون وينهبون أعداءهم أمَّا متسلقي الثَّورة ولصوصها فقد ارتكبوا جرائمهم بحث الثَّورة والثُّوار ولذٰلك يجب أن تكون محاكمتهم أشد وأقسى.

لا أحد فوق القداسة. هكذا يجب أن تكون نقطة الانطلاق فيمن تجب محاكمتهم بعد انتصار الثَّورة. الجريمة جريمة أيًّا كان مرتكبها. مثلما تجب محاكمة مجرمي النِّظام تجب محاكمة مجرمي الثَّورة في الوقت ذاته. للحرب قوانينها وتبقى الجريمة جريمةً. لا يمكن مساواة المقاتل علىٰ الجبهات بمن استغل الثَّورة ليعمل لصًّا أو قاطع طريق أو ينهب بيوت النَّاس باسم الثَّورة... بل أرى أنَّهُ أبشع وأشنع من جندي النِّظام الذي قام بالفعل ذاته.

إذا لم نفكِّر بهٰذه الطَّريقة فنحن مقبلون علىٰ هاوية خطيرة. لا أدري إن كانت السلطة التي ستحلُّ محلَّ النِّظام انتقاليًّا ستكون بهٰذه الشِّدة التي نحذر منها أو بهٰذه القوننة التي نطالب بها. ولٰكنِّي أميل إلىٰ الظَّنِّ في الأمور لن تكون بهٰذه الطَّريقة ولا تلك. والحقيقة أنِّي أكاد لا أستطيع تحديد ملامح هٰذه المرحلة الانتقاليَّة.

ولذٰلك أقول المهم والخطير في الأمر هو بنية التَّفكير الإقصائيَّة الحمقاء التي ينادي أناس نكرات وأعلام تسهم في إثارة فتنةٍ وشرخٍ في المجتمع. وهٰذه البنية في التَّفكير قد تكون قاعدة سلوك فعليٍّ علىٰ أرض الواقع.

الفصل الثامن

تسابق الأقليات لتقسام غنائم الثورة

أودُّ أن أطيل ولا أريد أن أطيل[٨]. وكعادتي في بعض الأحيان أحب أن أبدأ بنكتة تختصر الموقف. هي نكتة بل حكاية تراثيَّة أحسبها شهيرة لأننا كنا ندرسها كما اذكر في المرحلة الابتدائيَّة.

بينما كان أعرابيٌّ مسافراً تعلَّق به ضيفٌ واستأذنه في مرافقته في سفره. فحمله معه علىٰ بعيره. بعدما قطعاً شوطاً من السفر أوقف الأعرابي الراحلة ليعد الطعام. فأخرج العدة. وقال للمرافقه:

(٨) .كتب لهذا المقال ٢٠١٥/٦/١٨م ونشر في الفترة ذاتها.

. اذهب واحتطب ريثما أعد الثريد.

فقال الضيف: والله إن تعب والسفر أهلكني.

فاحتطب الأعرابي وقال للمرافق الضيف:

. أوقد النار ريثما أعد الثريد.

فقال الضيف: والله إني لتعب ودخان النار يؤذيني.

فأوقد الضيف النار، ووضع الثريد فوقها، وقال للضيف:

. قم فاثرد.

فقال الضيف: والله لم أرتح بعد.

فثرد الأعرابي الثريد حَتَّىٰ نضج الثريد فتعب، قال للضيف:

. قم فاسكب الطعام.

فقال المرافق الضيف: ألم أقل لك إني تعبٌ؟

فسكب الأعرابي الثريد وقال للضيف:

. تعال لتأكل.

فقال الضيف: والله لقد خجلت من كثرة مخالفتك.

لسنا بحاجة إلىٰ الإسقاط لأن الحقيقة هي بهٰذه الصُّورة، ورُبَّما تكون استنساخاً لها. بعد أربع سنوات من الثَّورة وتعرض طيف واحد فقط من أطياف الشعب السُّوري للقتل والاعتقال والتشريد والتدمير ونهب بيوتهم وأملاكهم، لأن هٰذا الطيف وحده تقريباً من قام بالثَّورة، تركه الجميع وحيداً في مواجهة النِّظام حَتَّىٰ دفع أبهظ التَّكاليف ثمناً لحريَّة الوطن وكرامته وعزَّته، والجميع في أحسن الأحوال اتخذ مواقف المشاهد المعجب أو المتردد أو الحيران أو المراهن علىٰ كفة الأقوى، وهٰذا الفريق

هو المضحك لأنَّهُ كان يغير موقفه علىٰ نحو تهريجي بَيْنَ اليوم والليلة تبعاً لتقدم الثَّورة أو النِّظام علىٰ الأرض. وفجأة عندما بدا أن النِّظام ساقط لا محالة وأنه سقوطه موقوف علىٰ ضغوط دوليَّة بحثاً عن البديل هبت بعض الأقليات لا لتشارك في الثَّورة بل لتطالب بحصتها من غنائم الثَّورة!!!

ليس دفاعاً عن الأقليات، يجب أن يفهم من يريد أن يفهم أنَّ الأقليات تعتبر نفسها كيانات غريبة حَتَّىٰ وإن كانت من أصول المجتمع، وتتصرف علىٰ هٰذا الأساس، ومن ثَمَّ فإنَّ عدم مشاركتها في الثَّورة لا يعني أنَّهَا ضدَّ الثَّورة ...

ولذلك المشكلة تكون مع أشخاص لا مع أقليات حَتَّىٰ إن كانت الأقليَّة كلها متحفظة أي مستوى من مستويات التحفظ.

ولذلك أيضاً، وأرجو أن نفكر بهٰذه الطريقة، لا مشكلة في الأصل والفصل مع أيِّ درزيٍّ أو مسيحيٍّ أو كرديٍّ... المشكلة هي مع السيء أو المخطئ أو المجرم؛ الدرزي أو المسيحي أو الكردي مثلما هي المشكلة مع المسلم (السني) السيء أو المخطئ أو المجرم... المجرم أو المخطئ هو من يجب أن يحاسب أو يعاقب مهما كان دينه وعرقه.

ولٰكنَّ هٰذا الموقف المنطقي والإيجابي شيء وما حدث ويحدث شيء آخر. ولا يجوز الخلط بَيْنَ الموقفين. كانت الأمور منوطة في مرحلة معينة بطلب تطمينات. هٰذا الطلب ذاته غير منطقي وغير مقبول واستفزازي أيضاً. لأنَّ هٰذا الطلب يقوم علىٰ سوء نيَّة، ويقوم علىٰ تخوين الثَّورة والثوار والأكثريَّة وعدم الوثوق فيهم، والمصيبة الشنيعة في هٰذا السياق أنَّ هٰذا التخوين وعدم الثقة يقوم

علىٰ قاعدة خاطئة أصلاً وهي أنهم في حين أنهم لم يشاركوا في الثَّورة، وظلوا بعيدين عنها، وفي حين أنَّ الأكثريَّة هي التي تعرضت للقتل والتشريد والإبادة وهي يعيشون بأمان وسلام ولم يتعرضوا لأي تعكير مزاج... في حين ذٰلكَ كله يطالبون هم بضمانات؟ ضمانات علىٰ ماذا ولماذا وما الثمن الذي دفع حَتَّىٰ يطلبوا ضمانات به؟

ومع ذٰلكَ، من قال بأنهم مستهدفون؟ ومن قال بأن أحداً يكن لهم أي ضغائن أو نوايا سيئة؟

إنَّ تصريح هٰذا الشخص أو ذاك ضد أي أقليَّة من الأقليَّة لا ينفي تاريخ مئات السنين من العقليَّة العامة للشعب السُّوري الذي يعرف الجميع أن ليست إقصائيًّا ولا استئصاليًّا. والأدلة علىٰ ذٰلكَ أكثر من أن تحصى. لا أريد خوض غمار تفاصيل تشتيتيَّة ومعقدة من الممارسات الدوليَّة والإقليميَّة في الثَّورة السُّوريَّة لجرها إلىٰ مواجهات من هٰذا القبيل وفرض إيقاع تفتيتي علىٰ سوريا. ولٰكنَّ الحقيقة التي يجب أن تكون حاضرة في أذهان الجميع أنَّ ما يحدث في سوريا ثورة مهما كانت الانحرافات التي فرضت عليها. وفي الثَّورات من يشارك بها يحصد ثمارها. المنتصرون هم الذين يضعون الخريطة الجديدة للوطن. ومع ذٰلكَ لم يكن ببال الثَّورة ولا السُّوريين أي فكر إقصائي ولا تهميشي، ولآ أظنه سيكون... وعلىٰ افتراض كان مثل ذٰلكَ سيثب ألف دليل ودليل علىٰ أنَّ من لم يشارك في الثَّورة لا يحقُّ له أن يحصد ثمارها، فكيف إذا قيل بأنَّ هٰذا الفريق أو ذاك حارب الثَّورة؟

المسألة ليست معقدة، ولٰكنَّ الممارسات الخاطئة هي التي تعقدها وتفتح أبواباً لا ينبغي أن تفتح. قد يظن هٰذا الفريق أو ذاك أنَّ هناك

أطراف خارجيَّة ستؤازرة وتقف معه. هٰذا صحيح. العالم سيكون مسروراً من أي حرب أهليَّة تندلع في سوريا وتؤدِّي إلىٰ استمرار القتل والخراب والدمار. ويبقى السُّؤال: من المستفيد؟ وماذا ستستفيد هٰذه الأطياف السُّوريَّة من حرب أهليَّة؟

لننظر إلىٰ العلويين الذي وقفوا موقفاً خاطئاً منذ بداية الثَّورة. ماذا كسبواً أخيراً؟

لم يستطيعوا المحافظة علىٰ السلطة ولن يستطيعوا البقاء فيها وفقدوا فرصة المشاركة فيها، وكل من طمعهم بغير ذٰلكَ فهو يخدعهم لاستمرار استنزافهم واستنزاف سوريا. وبعد ذٰلكَ فقد جيل شبابهم كله تقريباً. وفقدوا تعاطف السُّوريين، وفقدوا فرص العيش المشترك الطَّبيعي مع السُّوريين... كل ذٰلكَ بسب لحظة جنون خاطئة ركبوا ولم يفهموا بداهات الِّصراع السِّياسي.

هل تريد الأقليات الأُخْرَىٰ دخول مثل هٰذه المغامرة؟

كل المؤشرات تقول إنَّ قوى إقليميَّة ودوليَّة تسعى لإدخال سوريا في حمام دم جديد بعد فقد الأسد فرص البقاء كلها وصار عبئاً علىٰ الجميع. ولأنه لا يوجد بديل سوري يحقق مصالح الغرب ودول إقليميَّة معينة عربيَّة قبل إسرائيل فإنَّهُم جميعاً يعملون علىٰ إدخال سوريا في حمام دم الحرب الأهليَّة.

وسائل الإعلام تلعب لعبة قذرة في الجر إلىٰ هٰذه المواضع الخطيرة. تمارس قذارتها عن تخطيط وعمد أو عن هبل واستهبال سعيًّا للاستعراض.

قلنا إنَّنا نتفهم مواقف الأقليَّات التَّحفظيَّة في اللحظات التَّاريخيَّة الحرجة والكبرى ولا ننكر ذَلكَ وإن عجزت عن فهمه عامَّة الناس أو صعب عليها. قد يكون لهٰذا التحفظ غير مستساغ في بعض الحالات ومنها الثَّورة السُّوريَّة، ومع ذَلكَ لا يمكن إلا أن نتفهمه ونقبله. ولٰكن أن تتحول أقليَّة فجأة إلىٰ قائد للثورة وبطلٍ لها من دون مسوِّغات ومن مقدمات كافية ومناسبة فهٰذا أمر يثير الارتياب ويستفز الناس كثيراً لا قليلاً. منذ أيام أحد مشايخ الدُّروز الذي كان مع النِّظام طيلة الثَّورة ورُبَّما حَتَّىٰ الآن، وهو البلعوس، أعلن أنَّهُ لا تجنيد لشباب السويداء في جيش النِّظام وميليشياته. وهدد النِّظام إذا اعتقل أي درزي. ولم يعلن تأييد للثورة، ولا وقوفه معها، بل يفاوض بشار الأسد علىٰ استلام مطار الثَّعلة وأسلحته حَتَّىٰ لا يسيطر عليه الثوار... ومع ذَلكَ كله نفاجئ بالخطاب الإعلامي الذي يصور البلعوس وكأنه قائد الثَّورة السُّورية ضدَّ نظام بشار الأسد.

وما هي إلا أقل من نصف أسبوع حَتَّىٰ صارت ترتفع أصوات الأقليات المختلفة تريد اقتسام غنائم الثَّورة واقتسام السلطة والمحاصصة علىٰ اعتبار أنهم شركاء في الوطن، وأنَّهُم ليسوا من المريخ، وأنَّهُم مواطنون سوريون!!!

يذكرني هٰذا بخروج المظاهرات الشيعيَّة في لبنان تطالب حسن نصر بالخروج من سوريا لأنَّ ذَلكَ سيجلب لهم المشكلات!!!

أين كنتم منذ أربع سنوات؟

أم أنكم استنفرتم عندما وصل الخطر إليكم وكثرت خسائركم؟

أربع سنوات وحسن نصرالله يشارك النِّظام في قتل السُّوريين وصار يعترف بذلكَ علنا ويفاخر بذلكَ في سلسلة تصريحات كثيرة وكثيرة جدًّا مليئة بالاستفزاز الكبير والكبير جدًّا ولم يعترض أحدً من الشِّيعة عليه وهم من كانوا يقاتل معه، واليوم فقط عندما وصل التَّهديد إلىٰ قلب معاقلهم خرجوا يطالبونه بالتَّوقُّف عن المشاركة في الحرب ضدَّ السُّوريين؟؟!!

يعني لو لم يصل التَّهديد إليهم لما اعترضوا علىٰ مشاركته ومشاركتهم في تقل السُّوريين واتهامهم بالخيانة والعمالة والتكفيريَّة، وكان قتل السُّوريين عندهم شيء يدعو إلىٰ الفرح والفخر والاعتزاز.

علىٰ أي حال، إنَّ نقطة الانطلاق الخاطئة أو سوء الطَّويَّة هي التي تعقد الأمور وتقود إلىٰ متيهٍ لا حدود له. سوء الطويَّة يقوم به مغامرون يرهنون مصير الوطن وطائفة معينة للمجهول في أقل تقدير، ولوضع خطر في الاحتمال الأغلب، غير آبهين بالثمن الباهظ الذي سيدفعونه، مثلما حدث تقريباً مع النِّظام الذي غامر بالعلويين غير آبهٍ بهم حَتَّىٰ فقدوا شبابهم كله تقريباً في مغامرة كانت محسومة منذ البداية بأنه لن تكون في صالحهم. وكما تفعل بعض الأحزاب الكرديَّة اليوم أيضاً بناء علىٰ وعود خلبيَّة مهما كانت صدقيتها فإنها لن تجر للأكراد ما يحلمون به بحال من الأحوال. قد يستطيعون الاستقلال وقد يستطيعون إنشاء حكم مستقل ولٰكنَّهُم سيخسرون الوطن.

أمَّا سوء التَّقدير أو نقطة الانطلاق الخاطئة علىٰ افتراض حسن النيَّة فهي أنَّ الأقليات أو بعضها تنطلق من خوف لا يوجد ما يسوغه أصلاً، وكل الأدلة

والواقع والتاريخ تثبت بطلان هٰذه المخاوف. وإن وجدت استثناءات فهي استثناءات، بدل السُّلوك الصَّحيح القاضي بإقصاء هٰذه الاستثناءات فإنَّ الممارسات الخاطئة تؤدِّي إلىٰ الاستفزاز وتصعيد الأمور نحو الاستثناء لا نحو الأصل.

الفصل التاسع

هل انتهت الثورة فعلاً؟

علَّق أحد أنصار النِّظام علىٰ منشور لي قائلاً: «يبعتلك حجة والناس راجعة، ليش لسى في ثورة؟....».

فهل انتهت الثَّورَة فعلاً[٩]؟

استوقفني هٰذا التَّعليق في أكثر من نقطة ومسألة.

(٩) .كتب هٰذا المقال ٢٠١٥/٧/٣م ونشر في الفترة ذاتها.

المسألة الأولى التي أُشبعت بحثاً وتعليقاً ومناقشة على مدار سنوات الثَّورَة وهي اعتراف النِّظام وأنصاره بالثَّورَة وأنَّها ثورة وليست مؤامرة.

لم نكن ننتظر مثل هٰذا التعليق للتيقن بأن النِّظام يرى أنَّها ثورة، ويعترف بأنها ثورة، فهٰذا الاعترف صريح في أشياء كثيرة وكثيرة جدًّا لا يمكن دحضها، كل ما قام به النِّظام منذ البداية يؤكد تأكيداً قاطعاً أنَّهُ يتعامل مع ثورة لا مع مؤامرة ولا مع إرهاب ولا مع تطرف ولا مع انقلاب ولا مع حراك طائفي. وعلىٰ أيِّ حالٍ أيضاً لم يكن الشَّعب السُّوري الثَّائر منتظراً أو متوقعاً غير ردة الفعل هٰذه، وهي الرَّدُّ المتوقَّع أصلاً من نظام استبدادي يثور عليه شعبه.

هٰذا الموقف غير مستغرب ولا يجوز أن يكون مستغرباً، ففي الأثر المشتهر أنَّ كفار قريش رأوا المعجزات بأمِّ أعينهم ولم يعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. فكيف تريدون من النِّظام وأنصاره أن يعترفوا بالثَّورَة؟

طبيعيٌّ جدًّا أنهم حَتَّىٰ الآن يرونها مؤامرةً وخيانةً، وأنَّ الذين قاموا بها حشاشون وعملاء وخونه... ولا تقل لي إنَّ كلَّ شيءٍ واضح، لأنه مهما كان واضحاً فلن يكون أكثر وضوحاً من معجزات النبي التي أنكرها كفار قريش بعدما رأوها بأعينهم.

وعوداً علىٰ بدء الثَّورَة واتهام رئيس الحكومة من قبل أنصار الأسد وتحميله المسؤولية، اليوم ثورة عارمة بين أنصار الأسد علىٰ رئيس الحكومة وحاكم المصرف المركزي بسبب إزالة صورة حافظ الأسد عن الألف ليرة الجديدة، علماً أنهم يعلمون علم اليقين أن القرار هو قرار بشار الأسد، ولا يجرء رجل في سوريا

علىٰ الإقدام علىٰ هٰذه الخطوة من دون أمر مباشر من بشار الأسد. مثلما كان الأمر قبل الثَّورَة من عدم تحمل أي مسؤول في سوريا مسؤولية أي قرار لأنَّهُ لا يوجد من يقرر في سوريا إلا الرئيس وكواليس المخابرات.

وعلىٰ أي حالٍ ثانية، هٰذه المسألة لا تعنيني هنا.

الذي يعنينا هو جوهر المشكلة اليوم: هل فعلاً انتهت الثَّورَة؟

النقطة الأولى التي يجب تقريرها كما يقررها أنصار النِّظام أنَّهُ كانت هناك ثورة. والنقطة الثانية التي يجب النظر فيها جديًّا هي: هل الثَّورَة ما زالت قائمة؟ أم أن الثَّورَة انتهت؟

سينجم عن ذٰلكَ أسئلة لا بُدَّ منها. إذا كانت الثَّورَة ما زالت قائمة أين هي وما شكلها وما طبيعتها ومن يقودها ومن يوجهها؟ وإذا انتهت الثَّورَة فما الذي يحدث اليوم؟

لا نستطيع الإجابة علىٰ هٰذه الأسئلة جملة وتفصيلاً من دون العودة إلىٰ تفاصيل سنوات الثَّورَة المنصرمة. وهي في الحقيقة موضوعات أشبعناها تفصيلاً وبحثاً في أبحاث ومقالات سابقة. ولٰكنَّ تقرير جواب اليوم من دون النظر إلىٰ كل ما سبق سيجعل البعض ممتعضاً أو غير مقتنع أو معترضاً. وهٰذه الاحتمالات ستكون موجودة مهما كان سردنا وتحليلنا لتفاصيل سبقت. إذن الامتعاض والاحتجاج والاعتراض سيظل موجوداً علىٰ أي حال، مثلما كان عن أي تقرير لحقيقة سبق القول فيها.

كتبت في أواخر عام ٢٠١٣م منشوراً صغيراً قلت فيه: «إنَّ الذين ثاروا علىٰ النِّظام علىٰ الفساد والاستبداد والظلم كلهم تقريباً أصبحوا ما بَيْنَ شهيد أو معتقل أو مشرد هارب من البلاد...».

هٰذا لا يعني أن الثَّورَة انتهت. ولا يعني أن من تابعوا الثَّورَة ليسوا من الثوار. علىٰ الإطلاق. ولٰكنَّ الحقيقة التي يجب أن تكون واضحة أن جيل الثَّورَة الحقيقي انتهى في القبور والمعتقلات وما وراء الحدود. وأرجوا أن تراجعوا صور المظاهرات الأولى علىٰ مدار سنة ٢٠١١م تتفقدوا الموجودين فيها.

هٰذا أيضاً لا يقلل من قيمة من تابعوا الثَّورَة، ولا يطعن في أحد منهم. كل من تابع الثَّورَة فهو حرٌّ شريف أصيل. المشكلة ليست هنا في حقيقة الأمر. لننظر في اعتراف النِّظام بانتهاء الثَّورَة. اعتراف النِّظام بانتهاء الثَّورَة يؤكِّد حقيقةً واحدةً هي أنَّ النِّظام وراء تحويل الثَّورَة إلىٰ شيء آخر غير الثَّورَة، إذا كانت الثَّورَة قد انتهت. وهٰذا يعيدنا إلىٰ كلام بشار الأسد ذاته في عام ٢٠١٢م عندما قال بأنَّ بعض قيادات الجيش الحر تابعة له أو متعاونة معه فيما أذكر.

من الطبيعي، من البدهي، وليس انتقاصاً من الثَّورَة، أن نقول إنَّ الثَّورَة مخترقة منذ بداياتها. لا يمكن إلا القول بأن النِّظام قد اخترق الثَّورَة منذ بداياتها في مختلف مستوياتها وميادينها وموضوعاتها. ومن ثمَّ فإنَّ اللصوص والخونة والفاسدين من قيادات الثَّورَة في مختلف الميادين ليسوا أمراً طارئاً في الثَّورَة، ولم يأتوا فجأة. يعني ليس كما يتوهم الكثيرون أن القيادات اللصوصية والعميلة في الجانب العسكري والسياسي والإغاثي وغيره لم تخلق من الهواء فجأة. لقد كانت موجودة وتشابكت مع بعضها بشبكة علاقة لا ينقصها الدهاء، واستطاعت أن تكون مفاصل غير قليلة في الثَّورَة العسكرية والسياسية... وهٰذه القيادات ساهمت في إنهاء

الثَّـورَة وتحويلهـا إلىٰ صـراع عسـكري، صـراع سياسـي بَـيْنَ معارضـة ونظـام، وانتهت كلمة الثَّورَة، وغابت من القاموس التداولي.

ليست قيادات الثَّورَة العسكرية والسياسية كلها من هٰذا الطراز المبتذل الرخيص، ولٰكنَّ القيادات الشريفة انجرفت بقوة التيار إلىٰ ما أريد جرُّ الثَّورَة إليه، ولم تعد قادرة علىٰ مقاومة التيار، وثارت لا حول لها ولا قوَّة وسط زحمة تسارع الأحداث وزحمة الفاعلين في الساحة.

الثَّـورَة انتهـت وإن بقيـت في النفـوس مشـتعلة. الشـعب لا يسـتطيع أن ينسـى أنَّـهُ ثـار، أنَّـهُ في ثـورة، ولٰكـنَّ قيـادات النهـب والسـرقة والتسـلق علـىٰ الثَّـورَة لا تـرى الأمـر كـذٰلكَ، لا تـرى إلا أنَّهـا أمـام فرصـة غنـائم لـن تتكـرر. ولا أتحـدث عـن خضـوع لأجنـدات خارجيـة لا نعـرف إن كانـت تريد خدمة الثَّورَة أم الضرر بها.

ولذٰلك صار من السَّهل الآن أن نفهم لماذا صارت المظاهرات في سوريا ضدَّ قيادات محسوبة أنَّها قيادات ثورية. منذ سنة ونصف تقريباً ونحن نشهد مظاهرات في أرجاء سوريا ضد (قيادات ثورية). هل يعقل أن ثورة تثور علىٰ قيادتها قبل أن تنتصر علىٰ النِّظام الذي ثارت عليه؟

لا بُدَّ أن أختم هٰذا القسم بالقول: الفرصة الموجودة الآن أمام السوريين لا يمكن أن تعوض ولا تتكرر؛ إما أن يستثمروها، أو أن يخسروا أضعاف أضعاف ما خسروه حَتَّىٰ الآن.

ذٰلكَ جانب من جواب سؤال إن انتهت الثَّورة أم لا. ولٰكن ثَمَّة جانب آخر لهٰذا الجواب يتعلق بوجهٍ آخر من مشكلة الثَّورة والثَّورة السُّوريَّة علىٰ نحو خاصٍّ.

لا شك في أنَّ الثَّورات تقع في أخطاء كبيرة وصغيرة ومن مختلف الأشكال والألوان، ولا توجد ثورة لا تقع في أخطاء. ولٰكنَّ الأخطاء التي لا تؤثر في مسار الثَّورَة تأثيراً كبيراً تظل تحت حكم ضرورات المسار الثَّورَة، ولا تعدُّ أخطاء في محصلة الأمر، مثل انتشار بعض الظاهر الاجتماعيَّة السَّلبيَّة كالسَّرقة والنَّهب وقطع الطُّرقات وغيرها كثير من الأخطاء التي يجد أصحابها متنفساً في ظل انعدام السُّلطة المركزيَّة وانعدام الرقابة أو ضآلتها.

كل تلك الأخطاء محتملة ومنطقيَّة في سياق الثَّورات. ولٰكن أن تكون هٰذه الأخطاء من قيادات ثورية فتلك مسألة لا يمكن عدُّها عاديَّة بحالٍ من الأحوال مهما كانت قليلة. ويزداد الأمر خطورة ومأساوية كلما كثرت القيادات التي ترتكب مثل هٰذه الحماقات. وهٰذه مسأله وحدها تحتاج إلىٰ دراسة مفصلة موسعة وجريئة جرأة كافية. وقد تحدثت في هٰذا الموضوع غير مرَّة في غير موضع ولا أعود إليها الآن، وإنما سأقفز إلىٰ مشكلة لا تقل خطورة عن هٰذه المشكلة، بل أقول بوضوح وفجاجة إنَّ كثرة الفاسدين من قيادات الثَّورَة هو النَّتيجَة المنطقية واللازمة لزوماً ضروريًّا عن المشكلة التي سنتحدث فيها الآن.

أربع سنوات علىٰ العمل العسكري تقريباً قد مضت من عمر الثَّورَة وحَتَّىٰ الآن لا يوجد قيادة موحدة للثورة المسلحة.

هٰذا الأمر أعجب من العجيب ويثير تساؤلات كثيرة وكبيرة. هل يعقل أن الثَّورَة من دون قيادة موحدة؟ هل يعقل أن تكون ثورة بهٰذه القوة وهٰذا الامتداد ولا تكون لها قيادة واحدة؟

والسؤال الأخطر الذي ينجم عن ذَلكَ هو: هل يمكن أن تنتصر ثورة لها عشرات القيادات؟ وعلىٰ افتراض أنَّها انتصرت فما الذي يمكن أن تؤول إليه الأمور إذا سقط النِّظام وكانت الثَّورَة ذات رؤوس كثيرة؟

الحقيقة التي لا يجهلها أحد، ولا تنتظر اعترافاً من أحد، هي أنَّهُ لا يوجد قيادة للثورة السُّوريَّة. والحقيقة المرتبطة بها ارتباطاً منطقيًّا صميمًا أنَّهُ عندما تكون هناك ثورة بقيادات كثيرة أو حَتَّىٰ قليلة غير موحدة فإنَّهَا تفقد صفة الثَّورَة أو تقترب جدًّا من أن لا تكون ثورةً إن لم تفقد صفة الثَّورَة.

من بداهات العلوم العسكرية الخاصة بالحروب أن أو وأهم ما يسعى إليه الجيش المحارب مهاجماً أو مدافعاً هو تقطيع أوصال الجيش العدو وقطع التواصلات والاتصالات ليصبح العدو قيادات لا قيادة واحدة، لأن القيادة الواحد نظام وتنظيم وتخطيط وتنسيق... بينما القيادات ارتجال وأخطاء وتناقضات وعدم انسجام...

الثورة المسلحة جيش يحارب وبالضرورة عندما لا يكون للثَّورة قيادةٌ واحدةٌ، مع الإقرار بوجود استثناءات، فإنَّهَا لن تكون ثورةً وإنَّمَا هي عصابات متصارعةٌ مع طرف آخرَ واحدٍ أو مع هٰذا الطَّرف الآخر ومع بعضها بعضاً، من أجل مصالح ومكاسب خاصَّة لا علاقة لها بالثَّورَة. سيوجد بَيْنَهَا من له علاقة بالثَّورَة ويناضل من أجل الثَّورَة، ولٰكنَّهَا بالمجمل لا تتصارع من أجل انتصار الثَّورَة ولا من أجل أهداف الثَّورَة وإنَّمَا من أجل مصالح ومكاسب ومطامع شخصيَّة وخاصَّة لا أكثر.

أقول لا علاقة لها بالثَّورَة وأعني ذَلكَ تماماً، الأمر ليس فيه مجازات لغوية ولا تلاعبات بلاغيَّة. الأمر هو كذَلكَ في الحقيقة. والدَّليل لو أنَّها لها هَدَفٌ واحدٌ نزيهٌ لوجدت نفسها مضطرة لتكون موحدة وتحت قيادة واحدة، لوجدت أنفسها مدعوة بحكم المنطق النِّضالي والمنطق التَّخطيطي والمنطق التَّكتيكي والمنطق الاستراتيجي... أن تكون في خندق واحد وقيادة واحدة. لو أنَّها لها هَدَفٌ واحدٌ نزيهٌ لكانت علىٰ الحدِّ الأدنى من الوحدة والتنسيق والتعاون ولهٰذا ما لا يتحقق أبداً أبداً أبداً علىٰ الرَّغْمِ من الأوهام التي تبدي وجود نوع من التَّنسيق أو التَّعاون.

قلت لو أنَّ لها هدفاً واحداً نزيهاً وأعني النزيه تماماً لأنَّ النزيهين مدفوعين للوحدة، ولا يوجد ما يعيق وحدتهم. فإذا أسقطنا النَّزاهة أمكن أن يكون الهدف واحداً ولٰكنَّهُ يدعو إلىٰ التَّشتيت لا الوحدة، فإذا كان الهدف أيُّ مصلحةٍ أو مكسبٌ شخصيٌّ فإنَّهُ لا يمكن أن يكون داعياً إلىٰ الوحدة، ولا يسمح بها، بل لهٰذا الهدف داع للتشتت ورفض الوحدة والقيادة الواحدة، لأن الوحدة والقيادة الوحدة ستحدُّ من إمكانات تحقيق المكاسب والمصالح الشَّخصيَّة، وفي الحد الأدنى ستقلل من فرص تحقيق لهٰذه المصالح والمكاسب.

ومع ذَلكَ فإنَّ لهٰذا ما سيحصل في أحسن الاحتمالات وأفضلها. أحسن الاحتمالات وأفضلها أن تكون المصالح والمكاسب الشَّخصيَّة عائقاً أمام الوحدة، وعدم الوحدة في مستوى حسن الظنِّ لهٰذا سيؤدِّي أيضاً في أحسن الاحتمالات إلىٰ تأخر النصر لأنَّ مصلحة الفاسدين إطالة أمد الصراع لتحقيق المزيد من المكاسب التي يسمونها غنائم لإسباغ الشَّرعيَّة عليها، وهي مهما سمِّيت ليست شرعيَّةً أبداً.

إذن أحسن الاحتمالات في مثل هٰذه الحال هي تأخر النصر لأنَّ مصلحة هٰذه القيادات إطالة أمد الصراع لاستنزاف المرحلة بتحقيق المكاسب. أمَّا الاحتمال السيئ فهو عدم انتصار الثَّورَة. ولسنا بحاجة إلىٰ التفلسف في أسباب الوصول إلىٰ هٰذه النَّتيجَة. الأسباب بدهيَّةٌ إلىٰ حدٍّ كبير علىٰ رأسها وأحسنها حالاً بيت الشعر الحِكَمِيِّ العربيِّ القديم:

إِذَا كَانَ رَبُّ البَيْتِ ضَارِباً بِالطَّبْلِ
فَشِيْمَةُ أَهْلِ البَيْتِ كُلِّهُمُ الرَّقْصُ

فكيف إذا لم يكن هناك رب بيت وكل عضو في البيت زعيم وأكثر الزعامات ليست جيدة إن لم نقل فاسدة، فكيف يمكن أن يكون الحال؟ لا يمكن أن يكون بخير أبداً. بل إنَّ مثل هٰذا الحال يجعلنا نتوقع النَّتيجَة الأكثر منطقيَّة وهي صراع هٰذه القيادات فيما بينها. مثل هٰذا الحال سيجر بالتَّأكيد إلىٰ أن تتصارع فيما بينها هٰذه القيادات المسماة قيادات الثَّورَة.

الواقع اليوم ومنذ فترةٍ غير قصيرةٍ شهد ويشهد صراعات بَيْنَ تشكيلات الثَّورَة المسلحة. بَيْنَ الحين ويحدث مثل هٰذا الصراع هنا وهناك. هٰذه الصِّراعات ليست من باب المصادفة، وليست من باب الأمور المتوقعة في ظل الثَّورات، إنها من باب النَّتائج المنطقيَّة لوجود هٰذه البنية التي سبق الكلام فيها.

ما حدث من صراعات قليل فيما يبدو في نظر الكثيرين. وسنقرُّ معهم بأنَّهَا قليلةٌ وهي ليست كذٰلكَ، ولٰكنَّهَا بالتَّأكيد ستكون أكثر وستأخذ أبعاداً أكثر تنوعا واختلافاً وشدة في مراحل قادمة قد تكون

قبل انتصار الثَّورَة وقبل سقوط النِّظام، بما يعني أننا أمام منعكسات خطيرة علىٰ الثَّورَة وعلىٰ سوريا.

هٰذه المنعكسات الخطيرة ليست سهلة التَّحديد أو التوقع. هي خطيرة بكل تأكيد، ولٰكن لا ندري كيف يمكن أن تكون طبيعتها والمنزلقات التي يمكن أن تنزلق فيها. ولا أميل إلىٰ التَّبسُّط فيها لأنها مؤلمة كيفما نظرنا إليها. ولٰكن أعود فأختم ثانية بقولي: الفرصة الموجودة الآن أمام السوريين لا يمكن أن تعوَّض ولا تتكرر؛ إمَّا أن يستثمروها، أو أن يخسروا أضعاف أضعاف ما خسروه حَتَّىٰ الآن... والسلام.

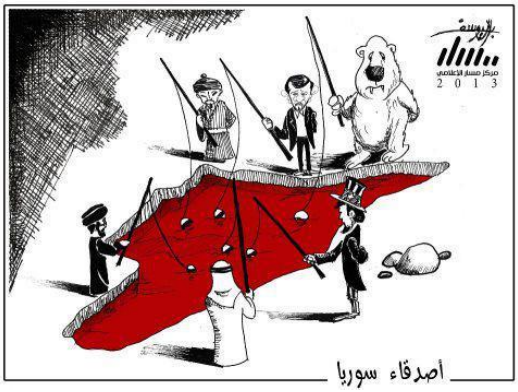

الفصل العاشر

لماذا تتخبط الثورة؟

الثورة تتخبَّط

الشعب يتخبَّط

القيادات تتخبَّط

لماذا كل هٰذا التَّخبُّط[١٠]؟

الحقيقة التي يجب أن أنطلق ولا أجد عنها بديلاً هي أننا إذا لم نعرف الجراح فعلاً، إذا لم ننكأ الجراح بجرأة، فلن نعرف الحقيقة، وإذا لم نعرف الحقيقة لا يمكن أن نصل إلىٰ نتيجة صحيحة.

(١٠) .كتب هٰذا المقال ٢٠١٥/٧/٧م ونشر في الفترة ذاتها.

الحقيقة الأولى التي يجب الاعترف بها أنَّ الثَّورة تتخبط، والشَّعب يتخبَّط. وطالما أنَّ هٰذه هي حالنا فإن المصير المجهول هو أفضل ما ينتظرنا. والمصير المأساوي أحد أبرز الاحتمالات التي تنتظرنا أو نسير إليها.

لا يمكننا فكفكة المشكلة كلها في عجالة، علىٰ أننا فصلنا فكفكتها منذ بدايات الثَّورة إلىٰ اليوم، لم نترك تفصيلة أو مشكلة إلا بحثنا فيها وتناولناها بجرأة ووضوح وإصرار. ولٰكن هيهات، كنت أسمعت لو ناديت حيًّا ولٰكن لا حياة لمن تنادي.

الحقيقة الثانية هنا التي يجب أن ندركها هي أنَّ التخبط الذي نعيشه اليوم كله هو نتائج لا أسباب، هو تبعات لأسباب محددة هي التي أوصلتنا إلىٰ هٰذا الحال. ولذٰلك لا يعنيني هنا أن أعرض صور التخبط التي يراها كثيرون من تشتت وضياع وارتهان ولصوصية وفساد وصراع الثَّورة مع بعضها... يعنيني أن أعود إلىٰ الجذر. ومن تابع كتاباتي منذ بدايات الثَّورة سيجد أني سأكرر المأساة بطريقة بطريقة أُخْرَىٰ، أعني سأكرر ما كنت أقوله علىٰ مدار سنوات الثَّورة. ولٰكنَّني سأعيده بطريقة أُخْرَىٰ.

وهنا السؤال: ما أسباب هٰذا التخبط؟

هناك الكثير من الأسباب في حقيقة الأمر، ولٰكنَّهَا معظمها ترتد إلىٰ خدعتين كررهما السوريون بغباء أو بلعبة مقصودة من فرق معينة. الخدعة الأولى خدعة التجريف السياسي. الخدعة الثانية خدعة (تربية) الأسد والبعث.

خدعة التجريف السياسي

منذ بداية الثَّورة خرج علينا المتنطعون من السوريين بخذرفات وخزعبلات تقول لا يوجد قياديين في سوريا، لا يوجد معارضة في سوريا، النِّظام جرف سوريا سياسيًّا علىٰ مدار خمسين سنة من المعارضين... ولذلك تحملوا أخطاءنا واختلافاتنا وغباءنا وتفاهاتنا وحقاراتنا في قيادة الثَّورة.

منطقيًّا وواقعيًّا هٰذا الادعاء لا أساس له من الصحة، وقد وقع به للأسف أساتذة كبار أكن لهم التقدير العلمي. لا أدري هل كانوا مقتنعين به أم هم يسترضون الخارج أم يسترضون الإمعات السوريين المتنطعين للقيادة والزعامة.

علىٰ أيِّ حالٍ، أكثر السوريين كرروا هٰذا الكلام التافه الساقط الذي لا أساس له من الصحة. وكتبت عن ذٰلكَ في أواخر عام ٢٠١١م مقالاً مطولاً نشر حينها في أكثر من موقع أحذر فيه من الانجراف وراء ذه الخدعة والاستسلام للأقوام والإمعات والمتسلقين الذين يروجون هٰذا الكلام لتسويغ وجودهم في سدة الزعامة، ولتسويغ محاربة الكفاءات السياسية والإدارية والقيادية التي علموا عليها منذ ذٰلكَ الحين بهٰذه الذريعة وبذريعة الخدعة الثانية التي سأتحدث عنها بعد قليل.

لا أريد أن أبرهن غباء هٰذه الخدعة وكذبها، وغباء من نادى بها. ولٰكنِّي لا أساطيع المرور عليها مروراً عابراً. ولا أريد أن أفصِّل في أنواع المعارضة الموجودة من بَيْنَ صنيعة نظام ومتسلقين وتافهين وصادقي... صحيح أنَّ هناك معارضة صنيعة النِّظام، والأنظمة، وصحيح أن هناك

معارضة لصوصية متسلقة وكاذبة... ولٰكنَّ ذٰلكَ لا ينفي أبداً وجود معارضين كبار وصادقين وشرفاء، ولا ينفي أنهم قيادات علىٰ أتم الكفاءة والقدرة... لا يمكن منطقيًّا ولا واقعيًّا أن يغيب مثل هٰؤلاء الأشخاص وهم غير قليلين أيضاً، ولا توجد أي صعوبة في العثور عليهم، حَتَّىٰ لا يتذرع أحد بصعوبة العثور عليهم.

النِّظام جرَّف الحياة السياسية، هٰذا صحيح، ولٰكنَّهُ لا يستطيع أبداً أن يجرِّف عقول البشر، لا يمكن أبداً أن يجرِّف القدرات الإبداعية الخلاقة في أي مجال من المجالات. ومن ثمَّ فإنَّ هٰذا الادعاء مردود أصلاً علىٰ الأغبياء الذين نادوا به، وقد شهدنا تبعات ذٰلكَ فوراً، ولٰكنَّهُم لم يعترفوا حَتَّىٰ الآن بالجريمة التي ارتكبوها في هٰذا الإطار، إلا اعترافات قليلة بل نادرة صدرت منذ فترة بعدم وجود كفاءات في الإئتلاف لا إدارية ولا سسياسية ولا قيادية ولا تنظيمية... ولٰكنَّهُم مع ذٰلكَ ما زالوا مصرين علىٰ التشبث بكرسي الزعامة والقيادة؛ يعترفون بغبائهم وعجزهم ويصرون علىٰ البقاء قادة للثورة!!!

إلىٰ أين سيقودون الثَّورة؟

ألا يدركون مدى ما ارتكبوه من جرائم بحق الثَّورة وسوريا علىٰ مدار السنوات الأربع المنصرمة؟!

بنظري، إن أدركوا أو لم يدركوا يجب محاكمتهم محاكمة ميدانية.

خدعة (ترباية) الأسد والبعث

هٰذه الخدعة نسخة من الخدعة السابقة تغطي الجانب الذي لا تغطيه تلك الخدعة.

كلما أخفقت قيادة ثورية في أيِّ مجالٍ... كلما اكتشفنا لصوصاً يتصدرون قيادات الثَّورة... كلما وجدنا خائنا أو عميلاً يتصدر قيادات عليا في الثَّورة ويدمر الثَّورة... يقولون: (ترباية) حافظ الأسد... (ترباية البعث)... (ترباية) بشار الأسد.

هٰذه التهمة الجاهزة الصاعقة المرعبة ليست جديدة علىٰ ضوء اكتشافات اليوم، لقد وجدت منذ بداية الثَّورة. منذ بدايات وكثيرون يتنطعون بهذه العبارة لإزاحة الشرفاء والكفاءات من قيادة الثَّورة.

بعد انشقاق الملازم طلاس والمقدم الهرموش والعقيدين رياض ومالك والنقيب الواوي والنقيب القطاعنة أغلق باب الشرف علىٰ المنشقين، ومنذ ذَلكَ الحين، أواسط عام ٢٠١١م، أي بعد أشهر قليلة من الثَّورة:

كلما انشق ضابط مهما كانت رتبته أحرقوه وحاربوه وهجروه وشردوه بقولهم: (ترباية) البعث، ترباية الأسد... مئات بل آلاف الضباط الكبار ضاجت بهم المخيمات وضاجوا بالمخيمات بهم حَتَّىٰ عاد بعضهم إلىٰ النِّظام لأنهم حوربوا بتهمة ترباية الأسد وترباية البعث.

لا أقول لذَلك، بل أقول لأنهم يريدون أن يكونوا هم القيادات، لأن الدهان والطيان والنجار والشوارمجي والكوبجي/البنشرجي والكهربجي... يريدون أن يقودوا الكتائب والسرايا قاموا بهٰذه الحركات الشيطانية لإقصاء الضباط... في حين يصرخ الجميع أين الضباط؟ ولا أتابع أكثر ففي المتابعة مآسي.

السياسيون والإداريون لم يكونوا أحسن حالاً من الضباط. فمنذ ذَلكَ الحين أيضاً، بفضل فريق آخر من الدهانين والطيانين والنجارين والشوارمجية

والكوجية/البنشرجية والكهربجية... تمت شيطنة السياسيين والإداريين الذين ينشقُّون عن النظام، وتهميشهم علىٰ الرَّغْمِ من أهمية كثير منهم. كثير من السياسيين والإداريين انشقوا عن النِّظام منذ عام ٢٠١١م. كل ذَلكَ لأن الأقزام والمتسلقين يريدون أن يكونوا زعامات وقيادات.

هٰذه الخدعة باطلة أيضاً منطقيًّا وواقعيًّا، وهي عبارة باطلة لا أساس لها من الصحة. لا أقول إنَّ نظام الأسد كان ملائكيًّا، بل اقول كله فساد. ولٰكن لا الأسد ولا نظام الأسد يستطيع أن يجبرك أن تكون لصاً أو خائناً أو متسلقاً أو مدمراً لبلدك... اللصوصية والخيانة والفساد طبعك أنت وليس تربية الأسد ولا البعث.

من الطبيعي في ظل هٰذه المعطيات أن تكثر الأخطاء والمصائب ويكثر اللصوص والمتسلقون والوصوليون وحَتَّىٰ الخونة والعملاء بسبب عدم وجود كفاءات وخبرات. ولأن صغار النفوس، وصغار القدرات تغريهم الأموال ومظاهر القيادة والزعامة. ومن الطبيعي أن يوجد بينهم لذَلك من يرهن الثَّورة وسوريا من دون أن يعلم، أو مع علمه، لأنه وجد نفسه في مكان لا يحلم به ولو عاش مليار سنة.

وبعد ذَلكَ كله يأتيك من يتشدق ويقول: المثقفون هربوا. ولا يريد أن يعترف أنَّهُ لأنَّهُ لصٌّ وفاسدٌ وخائن حارب المثقفين وحارب القيادات ومنعهم من أخذ دورهم، مثلما حاربهم النِّظام، فصاروا مطلوبين من طرفين سفاحين.

لما كنا نحذر منذ ثلاث سنوات من اللصوص والفاسدين والخونة كان يطلع لنا أربعمئة كلب ينتفوا ريشنا وينهالون علينا بالاتهامات والشتائم أحياناً ويقولون: «لا تثيروا الفتنة...».

شرِّفوا، انظروا أين صرنا اليوم حَتَّىٰ لا نثير الفتنة التي كنتم تزعمون، حَتَّىٰ لا نفضح اللصوص والفاسدين والخونة، حَتَّىٰ لا نضع حدًّا لهؤلاء القذرين الذين دمروا الثَّورة ودمروا سوريا... وأكثر من ذَلكَ مما تعلمون وممِّا لا تعلمون.

فإلى الخونة والعملاء والأغبياء والوصوليين واللصوصيين الذين رهنوا الثَّورة وباعوها: ملعونون أنتم ملعونون ملعونون ملعونون.

هل يعقل أن تصل الأمور إلىٰ أن يتنطع أوباما لوضع الشروط في السلطة السورية التي سيعترف بها بعد الأسد. في خطابة اليوم يقدِّم نفسه حاكماً لسوريا، راسماً ملامح الحكومة التي سيشكلها لتحلَّ محلَّ الأسد.

سوريا حَتَّىٰ أيام الاحتلال الفرنسي لم تشكل فرنسا حكوماتها، فهل قمنا بالثَّورة لنجعل أمريكا وكلابها يشكلون حكوماتنا؟

بئست الثَّورة إذا كان أوباما وكلابه من سيفرضون علينا شكل حكومتنا.

تحدثنا هنا فقط من باب حسن النية وعدم التعرض والتعريض بما يكفي للفساد واللصوصية وعقد النقص وعقد الزَّعامة والتَّسلقية والخيانة وهلمَّ جرًّا في هٰذا المسلسل الخطير والأخطر من الخطير الذي يستحق وحده ملفات طويلة متفردة.

الفصل الحادي عشر

سوريون يبتزون السوريين

أرجو بدايةً أن لا يعترض أحد قبل القراءة أو بعدها بأن هٰذا نشر غسيل وسخ وهٰذا باب فتنة، وهٰذا فضائح ليس هٰذا وقتها[١١]... وهلم جرًّا من سلسلة المصدَّات التي ما فتئ المتفتوقون يتفتوقون بها كلما أردنا كشف الغطاء عن الفاسدين حَتَّىٰ وصلت الأمور إلىٰ ما وصلت غليه من فوضى وضياع يكاد يتعذر ضبطه إن لم يكن أصلاً خرج عن السيطرة.

(١١) .كتب هٰذا المقال ٢٠١٥/٧/٢٢م ونشر في الفترة ذاتها.

لن أتحدث أبداً عن قيادات الجيش الحر وتشكيلات الثورة المسلحة، ولن أتحدث عن قيادة الإئتلاف وما انفرع عنها من كيانات. ولن أتحدث عن قطاع الطرق في سوريا الذين لا تصح تسميتهم إلا قطاع طرق عندما يبتزون حاجة السُّوريين أمثالهم بأي طريقة من الطرق. وبالضرورة لن أتحدث أبداً عن فير السُّوريين الذين يبتزون السُّوريين ويستغلونهم أبشع استغلال بسبب ظروفهم المأساوية وتلك مسألة تحتاج وحدها وقفات وستجدون عما قريب فيها الكثير مما يقال. ولن أتحد بالضرورة أيضاً عن تفاهات المجتمع الدولي متمثلاً بالدول والمؤسسات الدوليَّة...

أريد أن أتحث عن السُّوريين أنفسهم كيف يبزون السُّوريين، كيف يستغلون الأوضاع المأساوية التي يعيشون فيها، كيف ينتهزن احتياجاتهم ليسرقوا منهم أمولاً هم بأمس الحاجة إليها، يقترضونها اقتراضاً لحل مشكلة فيسرقها منها سوريون يتربصون بهم.

يتخذ السُّوريون هؤلاء المتاجرون بدماء السُّوريين وعذاباتهم كل أشكال المؤسسات والجمعيات واللجان التي تستجلب نظر السُّوريين وتدغدغ مشاعرهم: إغاثية، طبية، حقوق إنسان، لجوء، هجرة، مساعدات إنسانية، منح دراسية... وغيرها كل ما يمكن أن يخطر في بالكم مما يحتاجه السُّوري المشرد خارج بلاده لا مال ولا عمل ولا وطن...

في كل نوع من هٰذه الأنواع، تخيلوا وصدقوا، يوجد عشرات ورُبَّما مئات اللجان والجمعيات والمؤسسات في كل دول ممن الدول المجاورة والمجاورة للمجاورة وحَتَّىٰ في بلدان بعيدة. أقول العشرات بل المئات في كل نوع لا في كل الأنواع، وفي أي دولة مجاورة لا في كل الدول المجاورة.

في كل من لبنان، الأردن، تركيا، مصر أكثر من ثمانين إلىٰ أكثر من مئة مركز، جمعية، لجنة... حقوق إنسان وطفولة بمختلف أنواعها تعتاش علىٰ تشرد السُّوريين ومأساتهم، تنهب من السُّوريين أنفسهم إلىٰ جانب المنظمات الدولية. ناهيكم عن أمثالها في دول أوروبا وأمريكا ويمكن أيضاً مجاهل إفريقيا. وكثير من هؤلاء ينصب علىٰ السُّوريين في مسألة الهجرة واللجوء والدراسة والمؤتمرات وأشياء تخطر في بالك وأشياء لا تخطر في البال.

أما هيئات الإغاثة والمساعدات الإنسانية والمشاريع وما شابه ذَلكَ فحدث ولا حرج. في كل دولة توجد العشرات الكثيرة والكثيرة جدًّا تصل إلىٰ المئات في بعض الدول. قليل منها مشتهر وكثير منها لا أحد يعرف عنها شيئاً تعمل في غرف مظلمة وتتواصل مع الهيئات الدولية وتنهب مساعدات السُّوريين وإغاثاتهم، وفي الوقت ذاته تستغل السُّوريين بتشغيلهم ديكورات لتثبت للداعمين أنَّهُم يعملون ويقدمون المساعدات.

ولا يختلف الأمر في الهيئات الطبية التي يستغيث بها السُّوريون ولا يجدون من يغيث أو يرد علىٰ الهاتف، مثل تلك الهيئات الأُخْرَىٰ التي ما إن تأخذ من المنصوب عليه ما تريد حَتَّىٰ تقفل كل الخطوط في وجهه.

كل منهم عندهم قوائم بالمعتقلين والشهداء والجرحى والأيتام والمراكز الصحية يتاجرون بهم في المنتديات والهيئات ورجال الأعمال والمحسنين والمؤسسات والشركات وفي أي مجال أو ميدان يمكن أن يحصلوا منه علىٰ النقود أو المساعدات ولا تصل لأحد من المستحقين منها شيء إلا ما تحتاج متطلبات

صوربي وادعمني... أما المستحقون الحقيقيون فلا يرون منهم شيئاً ويعيشون المآسي الحقيقية بكل ألوانها وأشكالها وأنماطها، وما يقدم لهم يقدم غالباً من أناس لا يظهرون ولا يستعرضون.

هناك بعض الشُّرفاء ممن يعملون بصدق وإخلاص وأمانة من السُّوريين وغير السُّوريين، لا نبخسهم حقهم ولا يجوز أن نفعل. والحقيقة التي لا يمكن أن يدحضها الواقع هي أنَّهُم قلَّةٌ قليلةٌ. نرفع لهم القبعات احتراماً وتقديراً وشكراً، بعضهم معروف وأكثرهم غير معروف لأنَّهُم يؤثرون العمل بصمت لا يهمهم أن يعرفهم أحد بقدر ما يعنيهم أن يعلموا.

إنَّ خطورة هؤلاء اللصوص أكبر بكثير من أن يمكن تخيلها. إنَّهُه ظاهرة تسونامِيَّة تجتاح الثَّورة بكل مؤسَّساتها. خطورتهم في أنهم شوهوا صورة الهيئات التي تساعد السُّوريين ومنعت الناس من مساعدة هٰذه الهيئات من كثرة ما رأوه من فساد ونهب وكذب وسرقات، وصار من المتعذر علىٰ صاحب أي فكرة تخدم السُّوريين أن يستطيع تنفيذها لأن هؤلاء الفاسدين أغلقوا كل طرق العمل بل إنَّهُم يمنعون غيرهم من العمل، وقد سمعنا كثيراً عن تصادمات بَيْنَ هيئات لا تسمح لبعضها بالعمل في قطاعاتها؛ تخيلوا أن تتصارع هيئاتٌ خيريَّةٌ علىٰ منع بعضها من العمل في مناطق نفوذها.

هل يمكن تصديق ذَلكَ؟

جمعية أو هيئة خيرية تمنع هيئة خيرية أُخْرَىٰ عن عمل الخير في قطاع نفوذها؟!!

وحَتَّىٰ تسمية منطقة أو قطاع نفوذ ليست اختراعاً، إنها كذَلكَ في واقع الأمر. تسمى منطقة نفوذ.

في هٰذا وحده ما يدل علىٰ أنَّ المسألة مسألة مكاسب لا مسألة فعل خير علىٰ الإطلاق، لأنَّ من يفعل الخير لا يمنع غيره من فعل الخير. بَيْنَما المتنفذ، المتمكسب، السارق... من هٰذه الهيئات سيجد حرجاً من وجود غيره لأنه إما سيفضحه أو سيقلل من مكاسبه أو سيحرمه منه.

كان يظن الكثيرون في عام ٢٠١٢ وما بعد أن هٰذا الإقبال علىٰ إنشاء هٰذه الهيئات والمؤسسات والجميعات دليل خيرٍ، وكنت أقول للجميع هٰذا هراءٌ سيضرُّ أبلغ الضَّرر، وسيفتح باباً للفساد، لا يجوز هٰذا التعدد لأنَّهُ سيكون أكبر خطر علىٰ الثَّورة وعلىٰ النَّاس... ولٰكنَّ الجميع كان يستغرب من هٰذا الكلام ويقول: التَّنوُّع خير، الكثرة أحسن...

هٰذا التَّنوُّع والكثرة في قيادات الثَّورة وقيادات الجيش الحر أوصل إلىٰ الضَّياع. وهو عينه أدى إلىٰ استشراء اللصوص والفاسدين وسيطرتهم علىٰ مصائر السُّوريين في الدَّاخل والخارج فضاعت الثَّورة وضاع السُّوريون وضاعت سوريا... وهم ما زالوا في طغيانهم يعمهون.

فهل يصحو السُّوريون؟

الفصل الثاني عشر

هل قلبت أمريكا الطاولة؟

إن كنت تريد أن تُوقف عدوان الآخرين عليك فانظر من الخائن من أولادك وأهلك وضع له الحدَّ المناسب، عندها تغلق أبواب الغدر والخيانة والاختراق وتستطيع الدفاع عن نفسك[١٢].

من هٰذا الباب المخلوع دخل اللصوص والكلاب والخونة والعملاء وخربوا الدنيا وقلبوا الموازين. كثيرون يوجهون أصابع اللوم والاتهام إلىٰ الخونة والعملاء

(١٢) .كتب هٰذا المقال ونشر في الفترة ذاتها ٢٠١٥/٨/٢٢م.

واللصوص والحق أنَّ اللوم يجب أن يوجه إلىٰ من ترك بابه مخلوعاً ليدخل منه من هبَّ ودب، المشكلة فيمن ترك بابه مخلوعاً.

صحيح أنَّ اللصوص والكلاب والخونة والمتسلقون والعملاء سيحاولون الدخول، ولن يتوقفوا عن المحاولة، ولٰكن أن يجدوا الباب مفتوحاً فهذا دعوة صريحة لهم للدخول والعيث فساداً وتخريباً وتدميراً. معادلة لا تنتظر الكثير من الجهد لتمَّ فهمها.

ومع ذٰلكَ كلِّه، وحَتَّىٰ بعد تحصين الباب لا ينبغي أن ننسى بداهة الأزمات التي تقول: إذا دخلت حرباً وعك عشر رصاصات فاجعل تسع للخونة وواحدة للعدو. أي إن التحصين لا يعني الطمأنئنة والاستكانة والسير مغمض العينين. يجب دائماً وضع الحد اللازم والمناسب للخونة والعملاء.

في الثَّورة السورية، في أي ثورة، عندما يتمُّ تطهير الثَّورة من هٰؤلاء الخونة والعملاء والمرتزقة تنتصر الثَّورة خلال يومين لا أكثر.

الثَّورة ستنتصر ولا أدنى شكٍّ في ذٰلكَ، ولٰكن لا يمكن أن تنتصر بكلِّ هٰذه القيادات في الإئتلاف والمجلس الوطني وقيادات الحر بأنواعها ولا قياداتها الإغاثية... كلهم ما بَيْنَ لصوص وخونة ومتسلقين (أستثني القلة النادرة). وعندما يتم تطهير الثَّورة من هٰؤلاء تنتصر الثَّورة خلال يومين لا أكثر، ولا أحسب أن ثَمَّة مبالغة في ذٰلكَ لأنَّ اليومين إن كانا أسبوعاً فلا تغير في الحكم.

تطهير الثَّورة من اللصوص والخونة والعملاء لا يعني تركهم يرحلون ويستمتعون بما نهبوه، بل يعني خوزقتهم واستمتاع السُّوريين بمشاهدتهم

وهو يتخوزقون. وعطفاً علىٰ تحديد مفهوم الخيانة فالخيانة بمعناها التقليدي موجودة بكيمات تجارية في هٰذه القيادات، ومع ذٰلكَ فالخيانة كما يقول الحكماء ليست خصراً بمن باع نفسه للأعداء، يكفي أن يكون المرء غبيًّا حَتَّىٰ يكون خائناً. الغباء لا يدان بحد ذاته ولٰكنَّ ما يدان أن يكون المرء غبيًّا ويتنطع لما هو ليس أهلاً له، ويتفهمن فيما لا يفهم. هنا المقتل. وفي تتمة السِّياق، اللص بالمطلق خائن إذا سرق مما أوتمن عليه، وفي ظل ظروف الثَّورة فاللص خائن بالتأكيد لا يختلف عمن باع نفسه ووطنه للأعداء ولا يقل خطورة عنه أبداً... فكيف إذا سرق مما أوتمن عليه من أرزاق الثَّورة والناس والشُّهداء والمشردين؟!؟!

حسناً، وأعيد وأكرر إنَّ فضح هٰؤلاء ومحاسبتهم ضرورة لا معدى عنها ولا بديل، ولا يمكن أن تسير قافة الثَّورة علىٰ الطريق الصحيح ما لم يتم ليس فقط فضحهم بل ومحاسبتهم. وأكرر أيضاً أننا عندما كنا قبل أعوام ثلاث ننادي بفضح اللصوص ومحاسبتهم قبل أن يستفحل أمرهم كان يتنطع الكثيرون للقول: لسنا بحاجة للفتنة وشق الصف الآن... واليوم عند فضحهم يعود أولئك أنفسهم للدفاع عن اللصوص: لا يدافع عن اللص إلا لص مثله أو شريك أو متنفع من اللصوصية. من غير المعقول فهم دفاع عن لص أو مجرم أو خائن حَتَّىٰ ولو كان من أهله. الثَّورات يتبرأ الأب من ابنه إذا سرق أو غدر أو خان وأحياناً إذا قصر وما من واحد منا إلا ويعرف نماذج لآباء تبرؤوا من ابناء لهم لتقصير أو خيانتهم الثَّورة.

النماذج كثيرة لمن يسأل عن الأسماء. أقول بجرأة ومسؤولية أكثر من خمس وتسعين بالمئة من قيادات الثَّورية السياسية والعسكرية والإغاثية وغيرها يتوزعون

ما بَيْنَ لصوص وخونة وعملاء ومتسلقين وبعضهم يجمع بَيْنَ صفتين أو أكثر. فلا تسألوا عن الأسماء. ومع ذلكَ سأقف عند أنموذجين من الإئتلاف، ورئيس الحكومة.

طالعتنا مواقع عديدة علىٰ خبر يقول: رئيس بلدية برلين/ ألمانيا يبلغ وزير الخارجية الألماني اعتذاره عن رفض ٢٦ طلب لجوء/ إقامة في ألمانيا لرئيس الحكومة المؤقتة السورية وعائلته وأقاربه، مبرراً رفضه بالقول: «لا يشرّفني استضافة هٰذا الشخص الذي يرأس حكومة شعبه الثائر ويرى ما حصل في بلاده ولا يفكّر إلا في نفسه». ويقال إنَّ وزير الخارجية اضطر للالتماس لدى رئيس بلدية أخرى لقبوله.

يا رئيس الحكومة الانتقالية: إذا كنت تريد اللجوء إلى ألمانيا فأنت لا أمل لك بالنصر ولا إيمان لك بقضيتك فكيف تقبل علىٰ نفسك أن تبقى في هٰذا المنصب لولا أنك لص ووصولي وانتهازي ومتسلق وخائن ولا يجوز أن تؤتمن على أي شيء؟؟؟؟

رُبَّما يعترض معترض بكذب الخبر. جميل. ولم لا؟ المطلوب من رئيس الحكومة السيد أحمد طعمة أن يصدر بياناً يكذب فيه الخبر. ولا أحسبه يفعل.

بالمناسبة، هناك أخبار قد لا تكون صحيحةً شكلاً ولٰكنَّهَا صحيحة مضموناً، صحيحة في المبدأ.

الأنموذج الثاني هو الفضيحة التي تداولتها منذ أشهر كثير من وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي. وأعادت نشرها صحيفة الديار اللبنانية أمس ٢٠١٥/٨/٢١م تحت عنوان: فضيحة مدوية تعلنها المعارضة السورية سهير الأتاسي. صحيح أن جريدة الديار موالية للنظام،

ويمكن أن تفبرك وتكذب ولٰكنَّ هٰذا الكلام حقيقة لا غبار عليها. قد لا يكون الكلام بالحرف قد قيل أو صدر عن هٰذا أو ذاك ولٰكنَّ مضمونه صحيحٌ ولا ينتظر اعتراف سهير الأتاسي ولا غيرها. وفيه كلام من غير المعقول أن تقوله سهير الأتاسي عن نفسها. لا أعيد النص ولٰكن أذكر من خلاله حقائق تكرر ذكرها ونشرها مراراً منذ سنتين تقريباً علىٰ الأقل، منذ سنتين يتكرر نشر مثل هٰذه المعلومات:

. برهان غليون رئيس الإئتلاف لم يترشح لرئاسة الإئتلاف لأنه لم يستطع منع أعضاء الإئتلاف الوطني السوري المعارض من سرقة الأموال التي جاءت بعشرات ملايين الدولارات لا بل أكثر من ذٰلكَ بمئات ملايين الدولارات من أوروبا والسعودية وقطر والإمارات.

. كل أعضاء الإئتلاف أخذوا أموالاً من الدول الأوروبية والسعودية وقطر والإمارات ولم يصل شيءٌ منها للتنظيمات المعارضة بداخل سوريا ولا حَتَّىٰ إلىٰ اللاجئين السوريين ولا المشردين في الداخل.

ـ مئات ملايين الدولارات إن لم تكن مليارات هي التي وصلت إلىٰ الإئتلاف خاصة والمجلس الوطني قبله؛ الإئتلاف تنظيماً وأعضاءً، و في أحسن الظنون أهدرت هدراً بغباء التصرف والفذلكات والرحلات والأسفار والمؤتمرات.

. يؤكد هٰذه الحقيقة أنَّهُ في الشهر الأول الذي توقفت أو قلت فيه رواتب أعضاء الإئتلاف توقف الأعضاء عن الاجتماع، لأن كل رحلاتهم وإقاماتهم كانت بأبهظ الأثمان وعلىٰ حاسب دماء الشهداء.

ـ هناك وثائق تثبت ما قام به أعضاء الإئتلاف الوطني المعارض.

. لولا هدر مئات ملايين الدولارات في جيوب أعضاء الإئتلاف المعارض لكانت الثورة انتصرت علىٰ بشار الأسد.

. أعضاء الإئتلاف والمجلس الوطني يأخذون شقة كاملة بدلاً من غرفة وكانوا يدفعون في الليلة الواحدة ٣ آلاف دولار.

. لم تصل الأموال إلى اللاجئين السوريين ولا إلىٰ التنظيمات المعارضة.

هٰذا الكلام صحيح بالنص والحرف. بل إن ما يتواتر من أخبار وتسريبات يفوق هٰذه الحقائق مرات ومرات، ولذٰلك أن تنشرها جريدة موالية للنظام أو أن ينشرها النظام ذاته لا يقلل من قيمتها ومصداقيتها.

كلام يجعلك في حيرة من أمرك لا تعرف بماذا تعلق علىٰ مثل هٰذا الكلام في مقال سيقرأه الناس قلوا أم كثروا.

هٰذا الكلام أكثره صحيح بالنص والحرف. بل إن ما يتواتر من أخبار وتسريبات يفوق هٰذه الحقائق مرات ومرات، ولذٰلك أن تنشرها جريدة موالية للنظام أو أن ينشرها النظام ذاته لا يقلل من قيمتها ومصداقيتها.

وفي الجانب الآخر من هٰذه الحقائق المؤلمة نجد أناساً سُلِّموا قيادات للثورة، وهم من الشخصيات المتميزة باسم الثَّورة، يقبضون آلاف الدولارات علىٰ هٰذه المهمته القيادية، وتفاجئ بمصادفة سعيدة أنَّهُم يقضون دوامهم الثَّوري كاملاً وهم إما يلعبون لعبة المزرعة السعيدة، أو الشدة علىٰ اللاب توب، أو متابعة الكاميرة الخفية، أو الأفلام الحفية... وهيهات تجد منهم من يلعب الشطرنج، لأنَّ الشطرنج تحتاج إلىٰ شيء من التفكير والذكاء وهم من كليهما براء.

آلاف الأشخاص كانوا إذا عرضتهم في سوق النخاسة لا يشتريهم أحدهم بخمسين ليرة عندما كانت الخمسين ليرة أغلى من دولار، صاروا يملكون مئات آلاف الدولارات وملايين الدولارات... كلها من دماء الشهداء وأنات الجرحى وعذابات المعتقلين والمشردين.

لا يمكن أنت تنتصر الثَّورة في ظل هؤلاء الأشخاص، هم أنفسهم لا يريدون ولا يسمحون أن تنتصر الثَّورة لأنهم مطاردون من هاجس القصاص، إذا انتصرت الثَّورة لا يمكن أن يبقوا من دون حساب، ولذلك لا يريدون أن تنتصر الثَّورة، ولذلك تحولوا شاؤوا أم أبوا إلىٰ جنود للنِّظام علىٰ نحو مباشر صريح أو مبطن لاشعوري.

وللمرة الألف أكرر: كانت الثَّورة وما زالت وستظلُّ شرفاً ونبلاً وكرامة وعزة. المشكلة في اللصوص والخونة والعملاء والمرتزقة والمتسلقين الذين ركبوا الثَّورة وشوهوا صورتها.

الفصل الثالث عشر

الثورة والحلقات المفقودة

ما كان لثَّورة لأن تطول كل هٰذا الطول لولا وجود حلقات مفقودة بَيْنَ مختلف أطرافها[١٣].

ما كان لثَّورة أن تدخل هٰذه التَّعقيدات كلها لولا وجود حلقات مفقودة بَيْنَ مختلف أطرافها.

كلما كثرت أطراف الثَّورة زادت التَّعقيدات وزادت الحلقات المفقودة.

(١٣) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/٨٥/٢٥م فترة إعداد هٰذا الكتاب ليكون بمنزلة الخاتمة.

أطراف أي ثورة هي الشَّعب الثَّائر والقيادة المنظمة والملهمة له. وإذا تطوَّرت الأمر إلىٰ ثورة مسلَّحة دخل طرف ثالث إلىٰ أطراف الثَّورة هو الجناح المسلَّح، ولٰكنَّ البنية تبقى كما هي: شعب ثائر، جناح مسلح، وقيادة منظمة وملهمة.

كل الثَّورات عبر التَّاريخ تحققت فيها هٰذه المعادلة. بالكاد يمكن أن نجد ثورة ندَّت عن هٰذه القاعدة... قاعدة قمة الثَّورة وقاعدتها أو قاعدتيها: قيادة هي الأساس والتَّزام من القاعدتين المدنيَّة والمسلَّحة.

قبل الانطلاق إلىٰ التَّفاصيل يجب أن نضع نصب أعيننا حقيقة مهمة هي أننا لا ننكر التَّدخل الخارجي، ولا المؤامرة الخارجيَّة، وما لها من أثر وفعل سلبي في الثَّورة، كما لا ننكر المؤامرة الدَّاخليَّة التَّي يقودها النِّظام ضدَّ الثَّورة وهٰذه بداهة لا يمكن تجاوزها وسلوك من لا يتوقَّعه لا يحقُّ له أن يفتح فمه حَتَّىٰ للطعام.

ولٰكنَّ الحقيقة المقابلة التَّي يجب أن تكون واضحة وواضحة جدًّا هي أنَّهُ لا يمكن لأيِّ مؤامرة خارجيَّة ولا حَتَّىٰ لأي اخترق من النِّظام أن يكون لها التَّأثير الواضح أو البالغ ما لم يكن ثَمَّة في الثَّورة حلقات مفقودة من أي نوع من الأنواع، وكلما كثرت أو زادت الحلقات المفقودة زاد فعل وتأثير المؤامرة الخارجيَّة والاختراق الخارجي أو الدَّاخلي.

هٰذه بداهات منطقيَّة وواقعيَّة وليست توقعات ولا أمنيات ولا مخاوف، ومن ثمَّ إذا تحققت المقدمات فلا يمكن إلا أن تكون النَّتائج. أي إذا وجدت حلقات مفقودة لا يمكن إلا يكون الاختراق موجوداً وكبيراً حسب طبيعة ومدى

الحلقات المفقودة. ولا يمكن إلا أن يكون تأثير المؤامرة وفاعليتها في الثَّورة موجوداً وكبيراً حسب طبيعة ومدى الحلقات المفقودة...

نضيف إلىٰ ذٰلكَ من باب البداهات أيضاً أنَّهُ كلما زاد عدد عناصر العمل زادت فرص وجود حلقات مفقودة. الثَّورة عنصران أو ثلاث، إذا كانت عنصران فقط أي كما كانت ثورة شعبيَّة سلميَّة فقط فإن اختراقها صعب لأنها تقوم علىٰ عنصرين فقط ومن ثمَّ فإنَّ ضياع الحلقات فيها صعب وليس ممتنعاً، ولٰكنَّهُ محدود. فإذا تسلَّحت الثَّورة وصارت مكوَّنة من ثلاث عناصر زادت إمكانيَّة ضياع حلقة من الحلقات أو أكثر، ولٰكنَّهَا مع ذٰلكَ تبقى محدودة طالما أنَّ الأمور تسير بمنطقيَّة العناصر الثلاث القيادة والثَّورة والسِّلاح. فإذا زادت عن هٰذه العناصر زادت احتماليَّة ضياع بعض الحلقات.

لنعد إلىٰ أركان الثَّورة والثَّورة السُّوريَّة نقطةً نقطةً ومرحلةً مرحلةً وننظر فيما حدث وكيف حدث.

حَتَّىٰ تمام السنة ونصف علىٰ الأقل كانت الثَّورة قائمة علىٰ عنصرين علىٰ الرَّغْمِ من التَّحول التَّدريجي إلىٰ التَّسلح منذ نهاية العام الأول تقريباً، علىٰ الرَّغْمِ من ذٰلكَ كانت الثَّورة منظمة دقيقة ملتزمة إلىٰ حدٍّ جدٍّ بعيد في أرجاء سوريا. كان من الصعب أن تجد خللاً في الثَّورة أو اختراقاً أو فاعليَّة خارجيَّة، مع عدم إنكار وجود حالات خاصة لا يمكن انعدامها. ولٰكن إذا رجعنا تاريخ الثَّورة في هاتين السَّنتين تقريباً أمكننا القول إنها كانت ثورة أنموذجيَّة إلىٰ حدٍّ كبير.

في السَّنة الثَّاني كان الجناح المسلَّح آخذ في التَّصاعد رويداً رويداً. وهنا بدأت الحلقات بالضَّياع شيئاً فشيئاً. كان من الممكن والسَّهل ضبطها ووضعها في مكانها حَتَّىٰ نهاية العام الثالث بل وأكثر قليلاً ولٰكنَّ ذٰلكَ لم يحدث. لم

تحدث أي محاولة جادَّة لضبط الإيقاع ولملمة الصدع الآخذ بالتَّمدد. كانت هناك محاولات حثيثة لتدراك ما ستصل إليه الثَّورة ولٰكنَّ المال السياسي واللهاث وراء المال والزعامة أفشل كل المحاولات التَّي كانت تفتقر إلىٰ المال.

بدأ الصدع في العام الثاني ولٰكنَّهُ لم يظهر وبدأ يدخل علىٰ عناصر الثَّورة عناصر جديدة هي العامل الخارجي المعقد في ظاهره الواحد في جوهره. ولٰكنَّ هٰذا الصدع لم يكن ظاهرا كثيراً في حقيقة الأمر لأنه كان يتمدد تسللاً هادئاً لا سريعاً.

في هٰذه الأثناء بدأ يظهر جيداً في الساحة الثَّورة أنَّهُ لا توجد قيادة فعليَّة للثَّورة، وبدأت تتشكل قيادات مختلفة الأشكال والألوان وكثرت مسميات قيادات الثَّورة والمتنطعين للكلام باسمها ولم يعد يعرف أحد مع أواخر السنة الثانية من هي قيادة الثَّورة. أما المجلس الوطني فسرعان ما تم تهميشه وإقصاؤه بعاملين عامل التَّآكل الدَّاخلي والبنية الفاسدة والخاطئة من جهة والعامل الخارجي الذي كان يتسلل إلىٰ الثَّورة تدريجيًّا، فتوافق غباء بنية المجلس مع الرَّغبة الخارجيَّة وسقط المجلس ليحلَّ محلَّه الإئتلاف الذي كان أسوأ من المجلس بكثير في البنية والتَّركيبة والطَّريقة والنِّظام الدَّاخلي.

مع بداية السَّنة الثالثة بدأ يتَّضح نسبيًّا وجود طلاق بَيْنَ الثَّورة والثَّورة المسلَّحة والقيادة السِّياسيَّة المسمَّاة إئتلاف. كل يغني علىٰ ليلاه، وكل في فلك يسبحون. في هٰذا العام بدأت أيضاً تتضح الخلافات الشديدة والطلاق بَيْنَ تشكيلات الثَّورة المسلحة ذاتها، وهٰذا أخطر ما في الموضوع. الجيش الحر الذي بدأ واحداً، وأعلن حسين الهرموش حل تشكيله لضمِّه إلىٰ الجيش الحر الذي أسَّسه رياض الأسعد احتراماً للتراتب العسكري وحرصاً علىٰ وحدة الصف...

بدأ بالتَّفاصل والتَّكون المناطقي والشَّخصي واختلاف الهويات، ولم تمضي السَّنة الثَّالثة إلا وجيش الثَّورة جيوش مختلفة ومتخالفة لم تدخل مرحلة الصِّراع فيما بينها، ولٰكنَّ هٰذه البنية لا يمكن إلا أن تكون أرضاً خصبة للصراع فيما بينها في أي مرحلة قادمة، وهٰذا ما حدث فعلاً مع أواخر السَّنة الرابعة.

منذ أواسط السَّنة الثالثة تفككت تماماً عرى الثَّورة وتقطعت أوصالها ومفاصلها، ليس فجأة وإنما بالتَّدريج السَّابق الذكر. وصارت عناصر الثَّورة منذ هٰذا الوقت:

أولاً: شعب فَقَدَ الثَّورة وصار مشرداً مشتتاً ما بَيْنَ الدَّاخل والخارج، وكفر كثير منهم بالثَّورة وإن لم يقبل محاربتها أو الانقلاب عليها... ظل مخلصاً للثَّورة منتمياً إليها ولٰكنَّهُ فقد كل الخيارات ولم يعد قادراً علىٰ محض التَّظاهر الذي كان يزلزل به النِّظام قبل سنتين.

ثانياً: قيادة سياسيَّة شكليَّة لا قيمة لها داخليَّة ولا خارجيَّة. ومهما كان الفعل الخارجي والاختراق فإنَّ هٰذه القيادة السياسيَّة ممثلة بالمجلس الوطني أولاً ثمَّ بالإئتلاف، والقيادات الخنفشاريَّة التَّسلقيَّة من الإشنيات والرخويات التَّي استغلت الظروف لتشكيل قيادات ومجالس وهيئات تتسلق الثَّورة تحت مسميات مختلفة... كلها هي المسؤولة عن ضياع الثَّورة وضياع سوريا والقتل والتَّشرد ورهن الثَّورة للخارج. فهي مكونة من أشخاص وصوليين، متسلقين، لصوص، لا علاقة لهم بالسياسة ولا بالقيادة وفرضوا أنفسهم علىٰ الثَّورة وحاربوا الكفاءات السياسيَّة السُّوريَّة الواقفة مع الثَّورة من القيام بما يجب أن تقوم به في خدمة الثَّورة وقيادتها. وفي هٰذا كلام كثير يبدأ ولا ينتهي كتبت فيه الكثير وغيري كثيرون فعلوا ذٰلكَ.

ثالثاً: قيادة عسكريَّة بل **قيادات عسكريَّة لا واحدة**. القيادة السياسيَّة مجازاً يمكن القول إنها قيادة، ولٰكنَّ عسكريًّا لا يمكن القول بوجود قيادة عسكريَّة. لا يوجد أي إمكانيَّة للقول بوجود قيادة عسكريَّة للثَّورة، كل منطقة حَتَّىٰ المنطقة الصَّغيرة قيادة بل أكثر من قيادة عسكريَّة لكل واحدة أهدافها وبرامجها ومخططاتها وولاءها حَتَّىٰ تشعر بأن كل قيادة في دولة في قارة أُخْرَىٰ ودين آخر ولغة أُخْرَىٰ... لا يوجد أدنى تخطيط مشترك ولا عمل مشترك بَيْنَ تشكيلات الثَّورة المسلَّحة ولا بحال من الأحوال حَتَّىٰ من باب المصادفة لا يوجد مثل هٰذه التَّشاركيَّة. ووصل الأمر منذ نحو العام إلىٰ بدء دخول تشكيلات الثَّورة في صراعات مع بعضها، صراعات لا تنافس. وأغلب الظن أنَّ هٰذه الصِّراعات ستزداد أكثر وأكثر كالما أنَّ البنية القائمة هي ذاتها. وأما ما نراه منذ فترة غير بعيدة من عمل مشترك هنا أو هناك فسرعان ما تفكك أو يتفكك من جهة، كما أنَّ الانضمامات التَّي نشاهدها فقد شاهدنا مثلها كثيراً في مراحل سابقة لم يكن فيها شيء من الجديَّة لأسباب لا داع لذكرها.

رابعاً: **العنصر الخارجي**. هنا مصيبة المصائب. لا يوجد عنصرٌ خارجيٌّ واحدٌ في حقيقة الأمر. مجازاً وتيسيراً يمكن جعل العامل الخارجي واحد تقريباً وهو عامل مشتت لا موحَّد، مفرق لا مجمع، ضد الثَّورة لا معها، ومع ذٰلكَ فهو الفاعل الحقيقي، الفاعل الحقيقي في تحريك ما كان ثورة وصار صراعاً مسلحاً. أما العنصر الخارجي الدَّاعم للثَّورة فهو محدود مكسور اليد والجناح لا حول له ولا قوة في ظلِّ الضُّغوط الجبارة التَّي تمارس عليه.

حسناً، الآن يمكن نتساءل: أين هي الحلقات المفقودة في الثَّورة السُّوريَّة؟

نعود إذن بالضرورة إلىٰ نقطة الانطلاق. فلنا إذا كانت الأمور تسير سيراً نظاميًّا بوجود قيادة وشعب ثائر وجناح مسلح كلاهما ملتزم بالقيادة فإنَّ الحلقات المفقودة أمر وار ولٰكنَّهُ قليل غير مؤثِّر.

صورة الثَّورة السُّوريَّة في الحقيقة لا يمكن أن ينطبق عليها هٰذا القانون بحال من الأحوال فلا قيادة سياسيَّة للثَّورة بالمطلق، ولا قيادة واحدة ولا موحدة ولا مشتركة للجناح المسلَّح، واللاعب الخارجي يلعب بالثَّورة بارتياح. ولذٰلك فإنَّ السُّؤال الآن الذي يجب أن يسأل: أين هي الحلقات المتصلة في الثَّورة السُّوريَّة؟

إن وجود حلقات مفقودة في عمل يعني انحرافه عن مساره وعدم وصوله إلىٰ هدفه بحال من الأحوال إلا بمصادفة أو معجزة. ولذٰلك فإنَّ وضع اليد علىٰ الحلقات المفقودة يعني وضع اليد علىٰ الحل والمخرج من الضياع.

ولٰكن في حال الثَّورة السُّوريَّة اليوم معاكس لحال الحلقات المفقودة فإنَّ المطلوب أعقد من ذٰلكَ بكثير وهو البحث عن الحلقات المتصلة للنظر فيما إذا كان من الممكن البناء عليها للوصول إلىٰ مخرج من الدَّوامة والمتيه الذي تضيع فيه الثَّورة.

ومع ذٰلكَ فإن العثور علىٰ حلقات متصلة أمر ليس بالسهل أبداً. كتبت في أوائل عام ٢٠١٣م متسائلاً: إذا كانت أكبر أربع تشكيلات مسلحة للثَّورة لها هدف واحد ومنهج واحد متخالفة تكاد تكون متحاربة ولا توجد بينها وحدة فكيف يمكن أن نأمل في مستقبل للثَّورة؟

الأمر زاد تعقيداً بعد ذٰلكَ. زاد تعقيداً من مختلف الجوانب والأبعاد. دخلت النصرة علىٰ الخطِّ، دخلت الدَّولة الإسلاميَّة علىٰ الخط، دخلت قوى

أُخْرَىٰ كثيرة ومختلفة علىٰ الخطِّ... وكلها قوى يبدو حَتَّىٰ الآن أنَّهُ من الممتنع أن تلتقي.

تختلف الأقوال في مدى ضرورة أو عدم ضرورة تحول الثَّورة إلىٰ مسلحة. ولٰكنَّ مهما كانت التَّوافقات أو الاختلافات فإنَّهُ من غير الممكن إنكار حقيقة أنَّ دخول السِّلاح علىٰ خطِّ الثَّورة كان المنعطف الذي قلب الموازين كلها، وخطف المسلحون الثَّورة ولم يعد هناك ثورة. لو ساروا علىٰ خطٍّ صحيح لكانت الثَّورة انتهت وانتصرت منذ سنتين علىٰ الأقل. ولٰكنَّهُم ساروا علىٰ غير هدًى وازداد الأمر تعقيداً بهم رويداً رويداً حَتَّىٰ وصلت الأمور إلىٰ ما وصلت إليه من تعقيد وتشابك فكانوا مقتل الثَّورة... حَتَّىٰ الآن لا يمكن إلا القول إن الثَّورة المسلحة كانت مقتل الثَّورة السُّوريَّة بدل أن تكون منقذتها. ومع ذٰلكَ فإنَّ الحلَّ ليس إلا بيدها وحدها طالما أنَّ الأمور تسير في هٰذا السِّياق. فإذا اختلف السِّياق فلكل حادث حديث.

الفصل الرابع عشر

الاستمرار في ركوب الغلط

الذي يحيرني ويدهشني إلىٰ أبعد الحدود[١٤]

الظَّاهرة التي بدأت تنتشر في الآونة الأخيرة في مختلف أوساط الثَّورة السُّوريَّة؛ ثوار، قادة، قادة معارضة، محلِّلين، منظِّرين... تلك الظَّاهرة هي الزَّعم

(١٤) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/١/١٧م ونشر في اليوم ذاته علىٰ صفحتي، ولكني جعلته آخر الفصول علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ ترتيبه التاريخي يأتي في البداية، فمضمونه يستحق أن يكون مقدمة أو خاتمة لهٰذا الكتاب، ولأنَّ المقدمة موجودة والفصل الأول مكرر بَيْنَ ثلاثة كتب فقد صار من المناسب أن يكون فصلاً ختاميًّا.

الأجوف الطَّنان بأنَّهُم من الأوَّل كانوا يفهمون ما سيكون، ويعرفون ما سيكون، وكانوا فطاحل الفهم والإدراك بحقيقة النِّظام وأعداء الثَّورة وهلم في هٰذا الحبل جرًّا وجرًّا...

فيا أيها فطاحش

طالما أنَّ أكثر السُّوريين فلاسفة...

وفهمانين اللعبة منذ أوَّل الثَّورة...

وعارفين الموقف الأمريكي والإسرائيلي والأوروبي والعربي والمريخي منذ زمان بعيد...

وفهمانين النِّظام عن ظهر قلب...

وعارفين ماذا سيفعل كذا وكذا... وكذا وكذا وكذا...

فلماذا يا فلاسفة زمانكم أوصلتم الثَّورة وسوريا إلىٰ هٰذه المرحلة؟

لماذا يا شطورين ما زلتم تنتظروا دعماً أمريكيًّا للثورة؟

لماذا يا حبابين وقعتم بالغلط والمطب نفسه أكثر من عشر مرات؟

كل السُّوريين اليوم يكتبون أنَّهُم كانوا فهمانين كلَّ شيءٍ منذ بداية الثَّورة ولو كانوا فهمانين فعلاً لكانت الدُّنيا غير... ولٰكنَّ مثلما قال مارك توين: الاستمرار في خداع النَّاس أسهل من إقناعهم بأنَّهُم تمَّ خداعهم... لا أحد يريد أن يعترف بأنه كان غلطاناً.

إذا قلنا عندما يعترفون بجهلهم وعدم فهمهم ما كان يدور، ويراجعون أنفسهم... يمكن أن تتغير الموازين، فإنَّنا سنصدم بحقائق نفسيَّةٍ خطيرةٍ، نحن بغنى عن خوض غمار تفاصيلها العلميَّة والتخصصيَّة، ولٰكنَّ خلاصتها أنَّ أحداً لن يعترف بأنه علىٰ خطأ لأنه سيوجد لنفسه من الحيل الدفاعيَّة ما يسوغ له

ركوب الخطأ والإصرار عليه. لا أعني أنَّ لا أحد يعترف بالخطأ وإنما أعني أنَّ من ركب الخطأ كل هٰذا الركوب ولم يرد أن يفهم ولا أن يعترف هو الذي لن يعترف، من لم يعترف أمام كل الفرص المنجية والمساعدة له لا يمكن أن يعترف عندما يجد نفسه محاصراً وبيده السلاح وليس بيد المحاصرين إلا اللسان.

هٰذه هي الحقيقة للأسف.

هٰذه هي الحقيقة التي عبَّر عنها بديع الشعر العربي أبو الطيب المتنبي بقوله:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته أو أنت أكرمت اللئيم تمرداً

أمثال هؤلاء لا يجوز التَّفاهم معهم لأنك كلما أكرمتهم تمردوا. أمثال هؤلاء لا مجال للحوار معهم أبداً... محاكمتهم فقط هي التي يمكن أن تجدي. ولذلك قلت غير مرَّة وكرَّرت ذلكَ في أكثر من موقع ومنبر: «إذا انتصرت الثَّورة وإن لم تنتصر لا سمح الله يجب محاكمة قيادات الثَّورة كلها محاكمة ميدانيَّة».

إذا لم يحاكموا محاكمة ميدانيَّة فرداً فرداً فبئست الثَّورة، بئست الثَّورة، بئست الثَّورة.

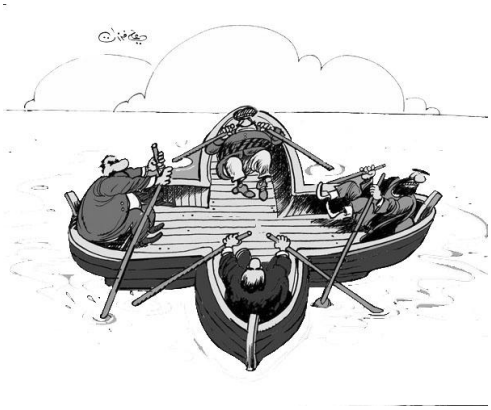

صدر من كتب المؤلف

- أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.

- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.

- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين .. دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.

- العرب أعداء أنفسهم؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.
- العرب جثة تنهشها الكلاب؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأَصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.

- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.

- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . ط١: دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م. ط٢: دار إنانا ٢٠١٠م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.

الفهرس

الإهداء ٠٠٥
مقدمة الكتاب ٠٠٧
الفصل الأول: مصائب الثورة السورية الخمس ٠١١
أولاً: النظام ٠١٣
ثانياً: قيادة الثورة ٠١٤
ثالثاً: أدعياء المعارضة ٠١٦
رابعاً: المجتمع الدولي ٠١٧
خامساً: المجتمع العربي ٠١٩
الفصل الثاني: إلى متى ستظل الطاسة ضائعة ٠٢١
الفصل الثالث: الثورة السورية في المنطق ٠٢٥
الفصل الرابع: سوريا للسوريين كلهم ٠٣١
الفصل الخامس: لماذا يستغبون المعارضة السورية؟ ٠٢٥
الفصل السادس: غوغائية المعارضة السورية والعربية ٠٤١
الفصل السابع: من الذين تجب محاكمتهم بعد الثورة؟ ٠٤٧
الفصل الثامن: تسابق الأقليات لتقاسم غنائم الثورة ٠٥٣
الفصل التاسع: هل انتهت الثورة فعلاً؟ ٠٦١

الفصل العاشر: لماذا تتخبط الثورة؟..... ٠٧١
خدعة التجريف السياسي..... ٠٧٣
خدعة ترباية الأسد والبعث..... ٠٧٤
الفصل الحادي عشر: سوريون يبتزون السوريين..... ٠٧٩
الفصل الثاني عشر: هل قلبت أمريكا الطاولة فعلاً؟..... ٠٨٥
الفصل الثالث عشر: الثورة السورية والحلقات المفقودة ٠٩٣
أولاً: شعب فقد الثورة..... ٠٩٧
ثانياً: قيادة سياسية شكلية..... ٠٩٧
ثالثاً: قيادات عسكرية لا واحدة..... ٠٩٨
رابعاً: العنصر الخارجي..... ٠٩٨
الفصل الرابع عشر: الاستمرار في ركوب الغلط ١٠١
صدر من كتب المؤلف ١٠٥
الفهرس..... ١١١

العالم العربي
The Arab World for Publishing

THE SYRIAN REVOLUTION AND THE CRISIS OF LEADERSHIP

Historical And Political Study

BY BROF. Dr

EZZAT ASSAYED AHMAD

Publisher

The Araboc World for publishing

Amman. 2015

Emil: sameah3@gmail.com

THE SYRIAN REVOLUTION AND THE CRISIS OF LEADERSHIP

Historical And Political Study

BY BROF. Dr

EZZAT ASSAYED AHMAD

هذا الكتاب

خلاف الثَّورات كلها أو معظمها في أحسن الأحوال راحت الثَّورة السورية تتقلَّب من عام إلى عام من دون قيادةٍ... بل الأخطر من ذلك أنها تعاني من كثرة القيادات على مختلف المستويات.

بداهة أو بداهتان تحكمان الموقف:

الثَّورة من دون قيادة هي فوضًى وعبثٌ.

والثورة بأكثر من قيادة هي صراع مكاسب.

وفي الحالين كليهما فإنَّ الأمور سائرة إلى هاوية.

لا يمكن لمركب لا قائد لها أن تسير سيرًا سليمًا وفي الوقت ذاته كما لا يمكن لمركب لها أكثر من قائد أن تسير سيرًا سليمًا.

عوامل كثيرة أدَّت بالثَّورة إلى هذا الموقع الخطير ولكن مهما كانت العوامل يبقى العامل الداخلي، أبناء سوريا، أبناء الثَّورة هم المسؤولون فقط لأنه لا يمكن لأي قوة خارجيَّة أن تفعل ما تريد ما لم توجد ارضيَّة المناسبة القابلة للاختراق.

الناشر

الدكتور عزت السيد أحمد

الثورة السورية وأزمة القيادة

قراءة سياسية تاريخية

THE SYRIAN REVOLUTION
AND THE CRISIS OF LEADERSHIP
Political Study
By Prof. Dr.
Ezzat Assayed Ahmad

العالم العربي
The Arab World
for Publishing